وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945– قالمة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

محاضرات في مقياس الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا وأسيا في القرنين التاسع عشر والعشرين

ألقيت على طلبة السنة الثالثة ليسانس تاريخ عام – السداسي الخامس.

إعداد: الدكتور عمر عبد الناصر

السنة الجامعية 2020/2019

البرنامج المعتمد في مشروع التكوين للسداسي الخامس

عنوان الوحدة: التعليم الأساسية.

المادة: الاستعمار وحركات التحرر في افريقيا وآسيا بين القرنين **19**-20م.

الرصيد:05

المعامل:02

الحجم الساعي خلال كل سداسي:

الحجم الساعي الأسبوعي الكلي: 1ساعة و30دقيقة محاضرة، 1ساعة و30دقيقة تطبيق.

طريقة التقييم: متواصل + إمتحان.

أهداف التعليم:

اكتساب الطالب معارف عن التحول الذي عرفته مناطق من إفريقيا وآسيا التي كانت تحت سلطة الاستعمار الأوربي إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

المعارف المسبقة المطلوبة :

تعتمد هذه المادة على تعرف الطالب للتوسع الاستعماري الأوربي الحديث الذي في قارة إفريقيا وآسيا بعد ظهور الثورة الصناعية منذ أواخر القرن الثامن عشر، وحاجة الدولة الأوربية إلى المادة الأولية، وغيرها من تداعيات التطور الصناعي.

مفردات المقياس:

الاستعمار، الحركة الاستعمارية، الاستيطان، المستعمرات، إفريقيا، أسيا، المركنتيلية، الامبريالية، المعمرون، الأنديجان، الامبراطورية، أوروبا، بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، اسبانيا، البرتغال، الولايات المتحدة الأمريكية، المسيحية، الإسلام، الهندوسية، البوذية، الغزو، العنصرية، الرّق، القرنين التاسع عشر والعشرين، الحربين العالميتين.

محتوى المادة

برنامج المحاضرات النظرية:

مقدمة:

- **أولا: الاستعمار أسبابه ومظاهره**

1. المحاضرة الأولى: مفهوم الاستعمار.
2. المحاضرة الثانية: جذور الحركة الاستعمارية
3. المحاضرة الثالثة: تجدد الاستعمار الأوروبي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين
4. المحاضرة الرابعة: أشكال الاستعمار الاوروبي الحديث

- **ثانيا: الحركة الاستعمارية في إفريقيا**

5. المحاضرة الخامسة: الاستعمار الفرنسي في إفريقيا
6. المحاضرة السادسة: الاستعمار البريطاني في إفريقيا

- **ثالثا: الحركة الاستعمارية في قارة أسيا**

7. المحاضرة السابعة: الاستعمار البريطاني في الهند
8. المحاضرة الثامنة: الاستعمار الفرنسي في الهند الصينية
9. المحاضرة التاسعة: الصين بلد شبه محتل
10. المحاضرة العاشرة: الاستعمار الهولندي في أندونيسيا
11. المحاضرة الحادية عشر: الاستعمارين الاسباني ثم الأمريكي في الفيليبين

- **رابعا: تداعيات الحركة الاستعمارية على شعوب القارتين.**

12. المحاضرة الثالثة عشر: الإبادة والعنصرية والعنف في المستعمرات

الخاتمة.

طريقة التقييم:

علامة الأعمال الموجهة% 50 +الامتحان. 50%

المراجع: (*كتب ومطبوعات، مواقع انترنت*، إلخ)

المقدمة

مقدمة:

إنّ الاستعمار الأوروبي الحديث، الذي امتد في حركة توسعية من قارة أوروبا إلى قارتي أسيا وإفريقيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، يعد من أخطر الظواهر السياسية التي عرفها التاريخ المعاصر للبشرية جمعاء، وقد انعكست هذه الظاهرة سلبا على جميع مناحي الحياة التي قد تنظم وتدعم العلاقات الانسانية.

إنّ الهدف من هذا العمل الأكاديمي هو تقديم محاضرات لطلبة السنة الثالثة ليسانس تاريخ عام في هذا المقياس، وهو مجهود يندرج ضمن العمل البيداغوجي للأستاذ، ومن خلاله سنوضح أثر الحركة الاستعمارية الاوروبية الحديثة على شعوب قارتي أسيا وإفريقيا في القرنين التاسع عشر والعشرين، والتداعيات الناجمة عن ذلك على جميع المستويات والميادين وإلى يومنا هذا.

وهدفنا كذلك هو إظهار الماضي السياسي والاقتصادي وانعكاساتهما على الأوضاع الاجتماعية والثقافية والدينية على شعوب القارتين، التي عانت من ويلات الليل الاستعماري الطويل في الهند، الجزائر، مصر، أندونيسيا، جنوب إفريقيا وغيرها من الدول التي شكلت كتلة الإخاء الافرو-أسيوي من أجل تعزيز التحرر.

قسمنا هذا العمل البيداغوجي إلى أربعة محاور رئيسية، وهي مبرمجة أصلا في المواءمة التي يندرج ضمنها هذا المقياس، وقد ركزّنا أكثر على دول معينة لسببين، فالأول مرتبط بوزن المستعمرة الاقتصادي والسياسي بالنسبة للدولة الاستعمارية كالهند بالنسبة لبريطانيا أو الجزائر بالنسبة لفرنسا وأندونيسيا بالنسبة لهولوندا والفيليبين كآخر مستعمرة اسبانية في القارة الأسيوية (1521-1898)، وكذا أثر تلك المستعمرة وأبنائها في عملية التحرير الوطنية والقارية والدولية، في حين يرتبط السبب الثاني بطول مدة الاستعمار أو الانتقال من استعمار إلى أخر على غرار الفيليبين التي خضعت للسيطرة الأمريكية ما بين 1898-1946، وكذا العديد الكبير للمستعمرات، إذ لا يسع هذا المجال للغوص في تفاصيلها.

أما المحور الأول فهو مرتبط بالاستعمار وأسبابه، تناولنا فيه كلمة الاستعمار، التي تحمل في الحقيقة مدلولا لغويا إيجابيا من حيث مصدرها الاشتقاقي، سواء كان ذلك في اللغة العربية أو فيما يقابلها

من كلمات في اللغات الأوروبية مثل كلمة (Colonisation) في اللغة الفرنسية، ونظرا لعدم التفريق بين هذه الكلمة وبين الاستيطان، ظهر مصطلح جديد في أواخر القرن التاسع لدى الأوروبين من أجل إبراز هذا الفعل في إطار مفهومه السياسي الحقيقي باطلاق كلمة الكولونيالية (Colonialisme)على الظاهرة.

ثم تطرقنا إلى جذور الحركة الاستعمارية الأوروبية ودوافعها، التي عرفتها قارتي إفريقيا وأسيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والتي قادتها بريطانيا وفرنسا أساسا، وهي تشكل امتدادا لحركة أقدم منها، التي ترأستها إسبانيا والبرتغال، اللتان صنعتا امبراطوريات واسعة في أمريكا، وبعض المراكز على سواحل إفريقيا وأسيا، وكانت نتيجة لما أطلق عليه حركة الكشوفات الجغرافية، التي امتدت من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن السادس عشر، تلك الحركة الاستعمارية الأوروبية القديمة سيطرت فيها مملكتي شبه الجزيرة الإيبيرية على العالم، لتعرف في القرن السابع عشر والثامن عشر بداية نمو القوى التوسعية المنافسة، وعلى رأسها فرنسا وانجلترا، اللتان صنعتا مجدا استعماريا في أمريكا الشمالية خاصة والعالم الجديد عامة (إضافة إلى أستراليا ونيوزيلندا وجزر وسط وجنوب غرب المحيط الهادي).

تلك الامبراطوريات شكلها "النظام القديم"، وفق تسميته في أدبيات الأنظمة السياسية في فرنسا مثلا، أي النظام الملكي المطلق القائم قبل الثورة الفرنسية الكبرى سنة 1789، هذه الفترة من نهاية القرن الثامن عشر عرفت في أوروبا تغيرات عميقة في المجال الاقتصادي أيضا، وقد أطلق مصطلح الثورة الصناعية على ذلك التطور الذي عرفته وسائل الانتاج، ما جعل قطاع الصناعة ينتعش ويتطلب مواد خام أكثر فأكثر، وهو أحد العوامل الذي دفع من جديد إلى الرغبة في التوسع.

كانت الهند والجزائر الضحايا الأوائل لتلك الهجمة العنصرية، التي استعملت جميع الوسائل المتاحة لتنفيذ مشروعها التوسعي وتحقيق أهدافها الاقتصادية على حساب الشعوب الضعيفة عسكريا، وادعى الاستعماريون من خلال عملهم ذلك، نشر الحضارة في أوساط الشعوب "المتوحشة"، الأمر الذي يخالف تماما الحضارة في مفهومها وحتى ما يطلق عليه في علم الاجتماع "الحالة الاجتماعية" للمجموعات البشرية، لأنّ الحضارة ليست فقط التطور العسكري أو التدين بالمسيحية، هذه الديانة التي استغلها كل من السياسيين والعسكريين الأوروبيين لتبرير أفعالهم العنصرية وهو الشيء الذي زكته وباركته الكنيسة.

المحور الثاني مرتبط بالحركة الاستعمارية في إفريقيا، إذ مهدنا لهذا المحور بمحاضرة حول الاستعمار الفرنسي في القارة السمراء، الذي سيطر على شمال وغرب ووسط إفريقيا بصورة شبه كاملة، مكونا منها مجموعات إقليمية فرنسية كبيرة، وقد رسمت فرنسا في مخططها لاستعمار إفريقيا، باعتبار كبوابة لغزو كامل القارة، وأشارنا إلى الصعوبات التي واجهت باريس في مد موجتها التوسعية انطلاقا من مدينة الجزائر التي غزتها سنة 1830، ثم درسنا مؤتمر برلين وتقسيم القارة الافريقية سنتي 1884-1885، بعد ذلك تطرقنا للتوسعات الانجليزية التي امتدت من جنوب القارة إلى شمالها الشرقي بالسيطرة على مصر سنة 1882، ثم حددنا أخيرا المستعمرات الافريقية حسب البلد الأوروبي الذي سيطر عليها، ودعمنا هذا المحور في النهاية بخريطة توضيحية لذلك.

المحور الثالث خصصناه للتوسعات الأوروبية في القارة الأسيوية، إذ سيطرت بريطانيا على البلاد الهندية الممتدة من بلاد فارس إلى مملكة السيام (تايلندا الحالية)، التي شكلت منها امبراطورية الهند، وكانت التجارة من أهم الأساليب التي استعملتها الدول الأوروبية وعلى رأسها انجلترا في توسعاتها، بداية من سنة 1600 عن طريق الشركة البريطانية للهند الشرقية، التي ظلت تتحكم فيها إلى غاية 1858، ثم أشرفت لندن مباشرة على مستعمرة الهند بتعيين حاكما عاما بصفة نائب الملك، في 1887 توّجت فكتوريا، ملكة انجلترا، امبراطورة على الهند، واستمر ذلك الربط إلى غاية الاستقلال. ثم تطرقنا إلى التوسعات الفرنسية في جنوب شرق أسيا وتشكيلها ما أطلقت عليه باريس "اتحاد الهند الصينية الفرنسية" سنة 1887، من كل من الفيتنام الحالية، اللاووس وكمبوديا، في الوقت الذي اقتصر فيه الاستعمار الهولندي على كامل الجزر التي تكون اليوم دولة أندونيسيا، التي سيطروا عليها بواسطة شركتهم التجارية التي أسسوها سنة 1602، وأخيرا ركزنا على واقع الصين كبلد شبه محتل خلال القرن التاسع عشر، ثم الفليبين كأقدم مستعمرة أوروبية بالنسبة لاسبانيا في أسيا.

المحور الرابع درسنا فيه تداعيات الظاهرة الاستعمارية على شعوب القارتين، ومهما كانت الدولة التي قادت تلك الحركة التوسعية، أو الشعوب التي خضعت لها، فقد طبقت فيها سياسة عنصرية نتج عنها الاتجار بالسود الأفارقة، التقتيل ومجازر يندى لها جبين الانسانية، المجاعات والاستغلال، الجهل والأوبئة في جميع المستعمرات.

في النهاية اختتمنا عملنا هذا بخاتمة أبرزنا فيها النتائج التي تمخضت عن تلك المرحلة السوداء من القرنين التاسع عشر والعشرين على الشعوب الأفروأسيوية.

ونظرا لأهمية الصورة في توضيح الفعل والعامل التاريخي فقد دعمنا عملنا هذا بمجموعة من الصور والخرائط التي لها علاقة بالموضوع.

المحور الأول:

الاستعمار وأسبابه

مفهوم الظاهرة الاستعمارية وجذورها التاريخية:

مقدمة: لقد عرفت قارتي إفريقيا وأسيا هجمة توسعية شرسة من طرف الدول الأوروبية، الأمر الذي تحول إلى حركة سياسية واقتصادية امتدت طول القرنين التاسع عشر والعشرين، لكن جذور هذه الأحداث تعود إلى فترة نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، وقد اعتبرت أطراف أوروبية تلك الحركة الاستعمارية على أنّها ظاهرة إيجابية، في الوقت الذي تظهر ممارسات وسياسة تجسيد الواقع الاستعماري، على أنّ الاستعمار ظاهرة من أشد الحركات العنصرية واللا إنسانية في جدلية الحضارة. فما هي حقيقة الاستعمار وجذوره التاريخية من خلال التناقض الذي تبرزه مفاهيمه والرؤى المختلفة حوله؟

1-تعريف الاستعمار والظاهرة الاستعمارية:

أ- **لغة:** من الثابت أنّ مصطلح الاستعمار مشتق من الفعل عَمَّرَ، فابن منظور[1] قد ذكر في معجم لسان العرب[2] قوله: "عَمَر اللهُ بك منزِلَكَ يَعْمُره عمارة وأَعْمَره، أي جعلهُ أهلا. ومكان عامرٌ أي مكانٍ ذو عِمارةٍ. "وأعْمَره المكان، واستعمره فيه: أي جعله يَعْمُره."[3] ولإجماع الناس جميعا على أنّ اللغة الواردة في القرآن الكريم هي الأفصح مما في غيره[4] فقد ورد في الآية 61 من سورة هود، قوله تعالى

1- هو محمد بن مكرم ابن على ابن أحمد الانصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل، كان ينسب إلى رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد سنة 630هـ (1232م) وتوفي سنة 711هـ (1311م)، جمع في اللغة كتاب سماه "لسان العرب". أنظر:

ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول (دار صادر، بيروت، د.س)، ص.4

2- أعظم كتاب ألّف في مفردات اللغة العربية، يشمل ثلاثون مجلدا، جمع فيه ابن منظور، التهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيّده، والصحاح وحاشيته للجوهري، والجمهرة لابن دريد، والنهاية لابن كثير.

نفس المرجع، ص 5 و6.

3- نفس المرجع، **المجلد الرابع**، ص 604

4- **طاهر الجزائري الدمشقي**، الكافي في اللغة، تقديم وتحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري (ط.1، دار ابن حزم، بيروت، 2007)، ص .14

"هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"[1] وهو الكلام الذي فسّره ابن كثير حيث قال في ذلك، "أَيْ اِبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْهَا خَلَقَ مِنْهَا أَبَاكُمْ آدَم " وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا " أَيْ جَعَلَكُمْ عُمَّارًا تَعْمُرُونَهَا وَتَسْتَغِلُّونَهَا[2]" وهو نفس التعريف اللغوي الذي يؤكده مصطفى علي هويدي في مقال له حول الاستعمار الأوروبي[3].

وعليه، فمن حيث البناء اللغوي وفي اللغة العربية، فمصطلح الاستعمار يعد شيئا إيجابيا باعتباره يمثل العمارة والبناء، كما يمثل أيضا السكن والاستثمار، نفس الأمر يؤكده المفكر الجزائري المتخصص في الفكر الاسلامي، مولود قاسم نايت بلقاسم، إذ ذكر في احدى مداخلاته، على أنّ كلمة الاستعمار تمثل العمارة والبناء والفلاحة، وهي أمور إيجابية في حياة البشر وحضارته، ثم استطرد في حديثه عن واقع الاستعمار الأوروبي وحقيقته، حسب ما عاشته الشعوب الإفريقية والأسيوية خلال فترة دراستنا هذه، كيف لا ونايت بلقاسم نفسه قد عان زمنا من وطأة الاحتلال، لذلك أطلق مصطلح "الاستدمار" على تلك الهجمة العنصرية التخريبية التي قادتها دول غرب أوروبا لاحتلال واستغلال الشعوب الضعيفة ما بين القرنين السادس عشر والعشرين، ثم يضيف مولود قاسم، بأنّ أستاذه، الفيلسوف المصري عثمان أمين، قد وصف الظاهرة الاستعمارية الأوروبية بمصطلح "الاستخراب"[4].

أما في اللغات الاوروبية فالمصطلح مشتق من فعل كوليري(Colere) اللاتيني، الذي يقابله في اللغة العربية الفعل زرع، أو تعمير مكان، ومنه المزارع أي كولونوس(Colonus) الروماني[5]. أما كولونيا(Colonia) فهي الأرض المزروعة، أو الضيعة أو الأرض التي قدمت

1- الآية 61، من سورة هود.

2- http://www.quran-for-all.com/t-11-1-61.html consulté le 28/11/2018.

3- **مصطفى علي هويدي**، "نظرة إلى الاستعمار الأوروبي الحديث"، مجلة كليات التربية 12، جامعة الجبل الغربي، ليبيا، (2008)، ص.26.

4- https://www.youtube.com/watch?v=-yYPhpEmSao consulté le 25/10/2017 à 22h35m

5 - **Guy Pervillé**, « Qu'est ce que la colonisation », Revue d'histoire moderne et contemporaine, Tome XXII,(juillet-septembre 1975), p.338

للجندي الروماني من أجل فلاحتها وتعميرها مقابل خدماته العسكرية السابقة، أو مساحة من العقار قدمت لمواطنين رومان لا أرض لهم، نفس المصطلح، أي كولونيا، يقصد به المدينة الجديدة والتي تكون مركز حضري وتجاري لنفس الإقليم، وكذا نفس المعنى والاسم للمجموعة البشرية التي تقيم في نفس المركز، ومن ذلك كله، فكلمة الاستعمار أو(Colonisation) يقصد بها في التعريف اللغوي رد الاعتبار لإقليم معين من أجل فلاحته وتعميره على أساس أنه خال من السكان أو أعتبر كذلك مع استيطان مجموعة بشرية فيه[1].

وعليه، نلاحظ إيجابية المعاني في كلا المصطلحين بين اللغة العربية واللغة اللاتينية وما جاء بعدها من اللغات الأوروبية، إلا أنّ حقيقة الاستعمار الفعلية تحمل دلالات أخرى.

ب- **اصطلاحا:** هو تسلط دولة ما على بلاد غير بلادها الأصلية بالقوة، وتكون القوة المستعملة لتحقيق تلك السيطرة ذات مظهر عسكري أو معنوي، هذا الأخير قد يكون ممثلا في الاقتصاد أو الغزو الفكري من خلال نشر لغة وفكر الدولة الاستعمارية، أو اتفاقيات سياسية أو غير ذلك من وسائل الهيمنة، والغرض من وراء ذلك كله هو التوسع والسيطرة اللذان يرافقهما استغلال ثروات البلاد المستعمَرة واستعباد شعوبها[2].

تتجسد عادة الظاهرة الاستعمارية بفعل العامل الاستيطاني، إذ ترافق عملية الغزو قدوم موجات بشرية متتالية من البلد الغازي إلى الأرض المحتلة، حتى تُشكل تلك المجموعات المهاجِرة كتلة استيطانية تهيمن على الحياة العامة في المستعمَرة على حساب السكان الأصليين[3]. تلك الهيمنة سبقتها دائما قوة عسكرية نظامية مهدّت لتصفية عرقية ممنهجة، حيث ألغيت الطبيعة البشرية لأبناء المستعمرات من خلال الأفعال الاجرامية التي ارتكبها الاستعماريون، فحولّت تلك الجرائم والتصورات العنصرية الاستعمارية مَن أنعتتهم بالأهالي أو الأنديجان مِن صفة الإنسان إلى صفة "الأشياء" من شدة الاحتقار، التنكيل والاستغلال. رأينا هذا يدعمه تعريف المؤرخ

---

1 - **Guy Pervillé**, op. cit.

2- **يحي نبهان**، معجم مصطلحات التاريخ، (دار يافا للنشر والتوزيع، الأردن، 2008)، حرف الألف، ص.21

3- المرجع نفسه.

المصري زاهر رياض الذي فرّق بين العنصر المهاجر الذي تأقلم مع الحياة العامة للسكان الأصليين، فأطلق على تلك المستوطنات اسم "المهاجر"، بحكم عدم امتداد سلطة دولهم الاصلية إلى المناطق المهاجر إليها، وقدم أمثلة عديدة، مثل المستوطنات اليونانية على ضفاف المتوسط، التي لم تمتد إليها سلطة أثينا، ونفس الأمر بالنسبة لقرطاجة، والمستعمرات الفرنسية الأولى في بلاد الهند، في حين أكد الاستعمار الاسباني في الأمريكيتين ووصفه بالصريح بسبب تفوق القوة الاسبانية واستغلال حكومة اسبانيا لتلك الأقاليم مع سكانها، ثم خلّص رياض في تعريفه للاستعمار، مؤكدا على أنّه " ...امتداد نفوذ لدولة ما إلى دولة أخرى، على أن يصحب هذا النفوذ استغلال للأرض والسكان لصالح الدولة صاحبة النفوذ..."[1]

على هذا الاساس، نقول عن الاستعمار الأوروبي الذي عرفته قارات أمريكا إفريقيا وأسيا من نهاية القرن الخامس عشر وإلى غاية النصف الثاني من القرن العشرين، أنّه يحمل مفهوما عنصريا وتسلطيا، الصفتان اللتان غذّتهما "الأنا الأوروبية"، تلك الأنا التي فقدت بدورها الاحساس بمعاناة شعوب المستعمرات، بل جردتهم من شخصيتهم، الأمر الذي دفع إمي سيزير (Aimé Césaire) الكاتب والسياسي الفرنسي الجنسية[2] الأنتيلي ذو الأصول الفريقية، يجعل الاستعمار مرادفا لمصطلح التشيؤ[3]، الكلمة التي تعني في الفكر الفلسفي تحويل الكائن الحي إلى أداة ينتفع بها.

1- **زاهر رياض**، استعمار إفريقيا، (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965)، ص5، 6.

2- (1913-2008) سياسي وكاتب فرنسي من جزيرة المارتنيك في بحر الكاريبيب، في 1955 صدر له كتيب تحت عنوان "خطاب حول الاستعمار" وهو نقد لاذع لتلك الحركة العنصرية. خطابه ذلك موجه أساسا للحركة الأفرو-أسيوية، يحث من خلاله شعوب إفريقيا وأسيا التمسك وبعث خصوصياتها التي تمثل الانسانية والمدنية الحقيقية خلافا لما زعمته الحركة الاستعمارية الأوروبية المسيحية. أنظر:

https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Aim%C3%A9_C%C3%A9saire/112418

consulté le 14/03/ 2018 à 16h 27m.

3- **Aimé Césaire**, Discours sur le colonialisme, (Ed., Présence Africaine, Paris, 1955), p.13

هذه الفكرة جسدتها الادارة الاستعمارية في إفريقيا وأسيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين بتجريد أبناء المستعمرات من حالتهم البشرية وجعلتهم وسائل وأدوات في خدمة الاستعمار، وبعد تقديم سيزير لأمثلة عديدة عن الوحشية الاستعمارية، مستدلا بعبارات ووصف لأفعال اجرامية قام بها السفاحون الاستعماريون في الجزائر، ومدغشقر والهند الصينية وغيرها، والتي اقتبسها من مذكرات والسجلات اليومية لقادة الجيوش الاستعمارية أثناء غزواتهم، من أمثال الجنرال الفرنسي سانت أرنو ومواطنه مونتانياك، الذين تلذذوا بقطع الأذن، وكذا الرؤوس (ليست برؤوس الخرشوف مثلما ذكر مونتانياك)، ورغبتهم في غزوات تطبعها الشراسة والعنف والدمار كتلك التي قامت بها قبائل البرابرة القوط والفرنجة في بداية العصر الوسيط الأوروبي، فقد ردّ أيضا إمي سيزير بكلمات برز فيها الوجه القبيح للاستعمار، حيث قال: *"إذا ذكّرت بكل تلك التفاصيل المرتبطة بالجرائم البشعة المرتكبة، فذلك ليس من باب الاحساس بالكآبة، بل، لأنني أظن أنّ تلك الرؤوس البشرية المقطوعة، والأذن التي جُمّعت، والمحاصيل التي أُحرقت، والغزوات القوطية، ورائحة الدم المحترق، والمدن المندثرة بحد السيف، فكل ذلك، لا يمكن مسحه متى نريد. هذا دليل، بأنّ الاستعمار، وأكرر ذلك، ينتزع الانسانية من البشرية الأكثر تحضرا"*[1].

أما المؤرخ الامريكي فيليب كورتن(Philip Curtin)، المتخصص في تاريخ إفريقيا فقد عرّف الاستعمار على أنّه " *خضوع لسيطرة شعب من ثقافة أخرى*"، هذا التعريف قال عنه المؤرخ الألماني جورجن أوسترهامل(Jürgen Osterhammel) أنّه شكل يبرز عنصرين أساسيين وهما "السيطرة" و"الانتماء إلى ثقافة أخرى"، وهما أمران غامضان في نظر أوسترهامل، لذلك أشار إلى وجوب توضيح هذا التعريف، لأنّ من الناحية التاريخية، فالذين تعرضوا للسيطرة الأجنبية ومن شعب يختلف في ثقافته عن المُسيطَر عليه، لم يعتبروا ذلك الفعل عملا غير شرعي دائما، ويستدل في ذلك بتاريخ مصر العثمانية ما بين 1517-1798، حيث تحكم فيها العنصر التركي، الشيء الذي لم يمنع السكان الناطقين بالعربية ليعترفوا بذلك، ثم فسرّ تلك الحالة من خلال التصور الإسلامي للحكم الذي يركز على الوحدة الدينية التي بدورها تلغي الفروق اللغوية[2].

1- **Aimé Césaire**, op. cit., p.11

2- **Jürgen Osterhammel**, « « Colonialisme » et « Empires coloniaux » », Labyrinthe [En ligne], 35 | 2010 (2), mis en ligne le 27 juillet 2012, consulté le 30 avril 2019.

أكد أوسترهامل على ضرورة تكملة مفهوم كورتن للاستعمار الأوروبي الحديث بثلاثة عناصر إضافية حتى يكون الوصف العلمي لحالة الخضوع تلك شاملا، مؤكدا في العنصر الأول على أنّ الاستعمار ليس علاقة العبد بسيده، بل تجريد مجتمع كامل من تطوره التاريخي، ووضعه تحت التسيير الأجنبي وفق احتياجات ومصالح الأسياد الاستعماريين، ويرتكز ذلك على "إرادة وضع المجتمعات "المحيطة" في خدمة الوطن الأم – المتربول"[1] . أما العنصر الثاني فهو مرتبط بالطريقة التي سيظل فيها كل من المستعمِر والمستعمَر غريبان عن بعضهما البعض، والسبب هو الرفض الإرادي من الأسياد الجدد قبول ثقافة الشعوب التي سيطروا عليها، وهذا من خصوصيات الاستعمار الأوروبي الحديث، فالتاريخ العالمي قليلا ما يقدم أمثلة عن هذا الواقع، إذ لم يحصل إطلاقا أن قدّم التوسع الأوروبي أنموذجا عن التناغم أو الاتساق[2] الثقافي بين الشعوب الأصلية والاستعماريين في مستعمرة واحدة.

العنصر الثالث والأخير فقد قال عنه أوسترهامل أنّه مرتبط ارتباطا وثيقا بالعنصر الثاني المذكور أعلاه، وهو التفسير للعلاقة الموجودة بين الاستعمار في حد ذاته وعامل السيطرة المرتبط به، حيث تشكلت من خلالهما ذهنية خاصة تمثل جزءا من جوهر الواقع الاستعماري ككل، والتي وصفها هذا المؤرخ بـ "التكوين الإيديولوجي"، الذي يعبر عن عمل المنظرين الاستعماريين (الإيبيريين أولا ثم الإنجليز وغيرهم) الذين مجدوا التوسع الأوروبي واعتباره انجازا لمهمة حضارية، التي تراها الكنيسة بدورها تكملة لمخطط الانقاذ الرباني الذي يستلزم عملا في صفوف الوثنيين، في الوقت الذي يرى فيه الديمقراطيون الغربيون في القرن التاسع عشر والقرن العشرين على أنّه وصاية لائكية هدفها "تمدين" الشعوب المتوحشة، ذلك العبء الثقيل الذي

URL : [http://journals.openedition.org/ labyrinthe/4083.] P.57

1- Ibid., p.57, 58

2- بعيدا عن الكتابات التي تترجم عبارة –Synthèse culturelle– بالتوليف الثقافي، فقد رأينا في كلمة الاتساق أنّها الأقرب والأوضح في المعنى. فقد تحدث جاد الكريم الجباعي عن ذلك في مقال "التنوع الثقافي والوحدة الوطنية". أنظر:

[https://www.suwar-magazine.org/articles/1761_2-التنوع-الثقافي-والوحدة-الوطنية] consulté le 18 juillet 2019.

تحملّه "الرجل الأبيض"، ليقول في النهاية عن تلك العلاقة، أنّها رؤية عرقية فرض فيها الاستعمار الأوروبي منطقه الفكري التوسعي العدائي[1].

وعليه نقول عن الاستعمار الأوروبي الحديث، أنّه توسعا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ودينيا لدول غرب أوروبا في كل من أمريكا وإفريقيا وأسيا، امتد من نهاية القرن الخامس عشر إلى الثلث الأخير من القرن العشرين، اعتمد فيه هؤلاء الأوروبيين على القوه العسكرية كوسيلة لتحقيق السيطرة على شعوب هذه القارات، ثم حصل استغلالها واستعبادها ، أما الهدف الأخير من وراء كل ذلك هو "تحقيق الربح أو الرفاهية" الاقتصادية للمتربول.

تلك الرفاهية سعت إليها دول مثل البرتغال وفرنسا، ومؤسسات، على غرار الشركات الاستعمارية الأوروبية –البريطانية، الهولندية والفرنسية– في جنوب وجنوب شرق أسيا، وأفراد على غرار الإسبانيين، بيثارو في البيرو وإرنان كورتيس في المكسيك، أو سيسل رودس في جنوب إفريقيا، كل ذلك أدى إلى تفاعل القوة لتحقيق السيطرة وممارسة الاستغلال الذي اعتمد بدوره على الاستيطان، وكلما كان العامل الاستيطاني شديدا تحقق ما يعرف بالمستعمرات الدائمة.

الخاتمة:

– الاستعمار يحمل دلالة إيجابية من الناحية اللغوية.

– الاستعمار ظاهرة عنصرية لا إنسانية من الناحية السياسية والتاريخية ويقصد به "سيطرة دولة على دولة أخرى أو شعب أو إقليم معين بفعل القوة التي تمارس الغزو ثم السيطرة وبعد ذلك الاستغلال للمستعمَرين.

– هناك عدة تعاريف اصطلاحية للاستعمار الأوروبي الحديث، تجتمع كلها حول فكرة طغيان العنصر الأوروبي على الأجناس التي وضعت تحت سيطرته في كل من أمريكا، إفريقيا وأسيا.

1– **Jürgen Osterhammel**, op. cit., p. 59

جذور الحركة الاستعمارية الأوروبية:

أ- تعريف الحركة الاستعمارية الأوروبية الحديثة:

يقصد بالحركة الاستعمارية الأوروبية تلك التوسعات التي عرفتها أوروبا خارج حدودها الجغرافية مع بداية ما أطلق عليه عصر الكشوفات الجغرافية، فإذا اعتبر وصول البرتغاليين إلى جزر ماديرا سنة 1419م، ثم الاستيطان في جزر الأصور ابتداء من 1439، وتأسيس ميناء مدينة فونشال وغيرها من المستوطنات لزراعة القمح والكروم، فذلك قد مثّل بداية للرغبة في التوسع الحر، بعيدا عن الاصطدام الذي كان مع المرينيين في المغرب الاقصى[1].

ب-بدايات التوسع الأوروبي في عصر الكشوفات الجغرافية:

أما فكرة الاستعمار وتحقيق الرفاهية والتحكم في الطرق التجارية فقد كان البرتغاليون أول الأوروبيين الذين لجأوا إليها، وذلك من خلال نشاطهم البحري على سواحل غرب إفريقيا ومنها إلى جنوب وشرق القارة التي وصلوها بعد 75 سنة من الابحار ومحاولتهم الدوران حول إفريقيا، إذ تحقق ذلك مع رحلة فاسكو دي غاما سنة 1498، الشيء الذي فتح الباب للمنافسة مع إسبانيا، التي كانت تحت حكم الملوك الكاثوليكيين[2]، الذين شجعوا وموّلوا رحلات كريستوف كولمبس (أربعة مابين 1492

1-**Joël Serrao**, « Le blé des iles atlantiques ; Madère et Açores aux XV^{e} et XVI^{e} siècles », Annales. Économies, Sociétés, Civilisations N^{o} 3,(juillet-septembre 154, France), p. 337

2- هما الملك فرديناند دي أراغون وإسابيلا ملكة قشتالة اللذان تزوجا ثم وحدا مملكتيهما لتفعيل وتسريع إنهاء "حروب الاسترداد" وطرد المسلمين من آخر معاقلهم (غرناطة) وحصل ذلك في 2جانفي 1492.

و1504)، وما تبعها من رحلات لبحارين آخرين واستكشافهم للعالم الجديد قد مثّلت البدايات للسعي من أجل السيطرة على العالم كله[1].

إنّ الوصول إلى جزر الهند الغربية[2] وما أطلق عليه فيما بعد مصطلح "العالم الجديد"، ثم قارة أمريكا سنة 1507، أي بعد سنة واحدة فقط من وفاة كولومبس، قد فتح الباب للصراع حول مناطق التوسع بين إسبانيا والبرتغال في نهاية القرن الخامس عشر، الشيء الذي جعل الفاتيكان والممثل في شخص البابا يتدخل لدى الدولتين الكاثوليكيتين ويعقد بينهما صلح أو إتفاقية توردیسیاس[3](Tordesillas)، وذلك من

1- **أحمد توفيق المدني**، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، (دار البعث: قسنطينة، د.س)، ص 29-34.

2- اعتقد كولومبس أثناء وصوله إلى جزر بحر الكاريبب أنّه وصل إلى أسيا (الهند) عن طريق الغرب مثلما كان مسطرا في رحلته، وذلك خطأ ظل قائما في الموروث الكولومبي إلى غاية 1507، حينما وضع عالم الخرائط الألماني مارتين والدسمولر(Martin Waldseemuller) أول خريطة لما سماه بالعالم الجديد وأطلق عليه مصطلح أمريكا تخليدا للبحار الفلورانسي أميريغو فسبوتشي(Amerigo Vespucci). أنظر:

Bertrand Van Ruymbeke, « L'héritage colombien : les conséquences de la "découverte" du nouveau monde », Publications du Musée des confluences N°3 (2009, Lyon, France), p. 13.

3- بلدة في شمال إسبانيا بمقاطعة قشتالة وليون، والاتفاق كان بين ملكي اسبانيا فرناندو الثاني دي أراغون وإسابيلا الكاثوليكية من جهة وملك البرتغال يوحنا الثاني من جهة أخرى، اقتسمت فيه مملكتي شبه الجزيرة الايبيرية مناطق نفوذ كل منهما في العالم، والحد الفاصل خط طول وهمي من الشمال إلى الجنوب، يبعد عن جزر الرأس الأخضر بحولي 370 (1770 كلم) فرسخ، ويمثله اليوم خط طول 46°غربا، وما هو شرقه من نصيب البرتغال وما إلى غرب الخط لاسبانيا.

أنظر:

Belén Rodrigo, "El tratado de Tordesillas y como repartió Portugal y Castilla", periódico ABC, de 18 de septiembre de 2013.

أنظر أيضا:

Traité de Tordesillas (1494), [http://www.axl.cefan.ulaval.ca/amsudant/tordesillas.htm], consulté le 19/10/2018

أجل الوصول إلى اتفاق يضع حدا للمنافسة بين الدولتين المتجاورتين، لأنّ أي انزلاق إلى ساحة الوغى سيعصف بالاثنين في شبه الجزيرة الإيبيرية[1].

جـ – التوسعات الأوروبية الأولى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر:

إنّ التوسعات البرتغالية والاسبانية بدأت في الحقيقة من شمال إفريقيا (المغرب الأقصى) خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر، وذلك في إطار مواصلة الاسبان لحروبهم التي كانت في شبه الجزيرة الايبيرية ضد المسلمين، وطردهم منها نهائيا سنة 1492 بعد سقوط غرناطة، وفي إطار بحث هاتين الدولتين عن طرق تجارية جديدة بعيدة عن سيطرة المسلمين في المغرب والمشرق، تطلعت أمانيهما ومغامراتهما للخوض في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، ذلك ما أدى بالدولتين إلى تأسيس امبراطوريات واسعة في العالم الجديد[2]، مع مراكز للبرتغاليين في قارة إفريقيا وفق نصوص معاهدة توردیسیاس التي سبق ذكرها.

بذلك أسس البرتغاليون إمبراطورية في شكل مراكز تجارية على طول السواحل الافريقية غربا وشرقا وجنوبا، وحتى في سواحل اليمن وعمان وبلاد الهند، والبرازيل في القارة الامريكية، وفي الوقت نفسه امتدت الامبراطورية الاسبانية من جنوب الولايات المتحدة الأمريكية الحالية إلى غاية أقصى جنوب الأرجنتين والشيلي في أمريكا الجنوبية، وعليه قضت إسبانيا على حضارتين عريقتين في العالم الجديد هما حضارة الأزتك في المكسيك حاليا التي سقطت في 1520، وحضارة الإنكاس في البيرو[3].

1- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 32،33.

2- مصطلح أطلقه أمريغو فيسبوتشي، البحار الذي شارك في رحلات كولمبس وانتبه إلى أنّ الأراضي المكتشفة "عالم جديد" حسب ما دونه في كتاباته وطالب بتنظيم رحلة جديدة سنة 1499 لتأكيد ذلك. الجغرافي الألماني مارتين فالدسيمولر هو الذي قرر اطلاق اسم أمريكا على تلك الأراضي بعد رسمه لخريطة السواحل وتأكيده وتخليده لملاحظات فيسبوتشي. أنظر:

https://www.projet-voltaire.fr/origines/mot-amerique-de-amerigo-vespucci/

3- **Bartolome Bennassar**, La América española y la América portuguesa siglos XVI y XVIII, Traducción de Carmen Artal, (4eEd., Akal, 2001, Madrid), pp 51-65

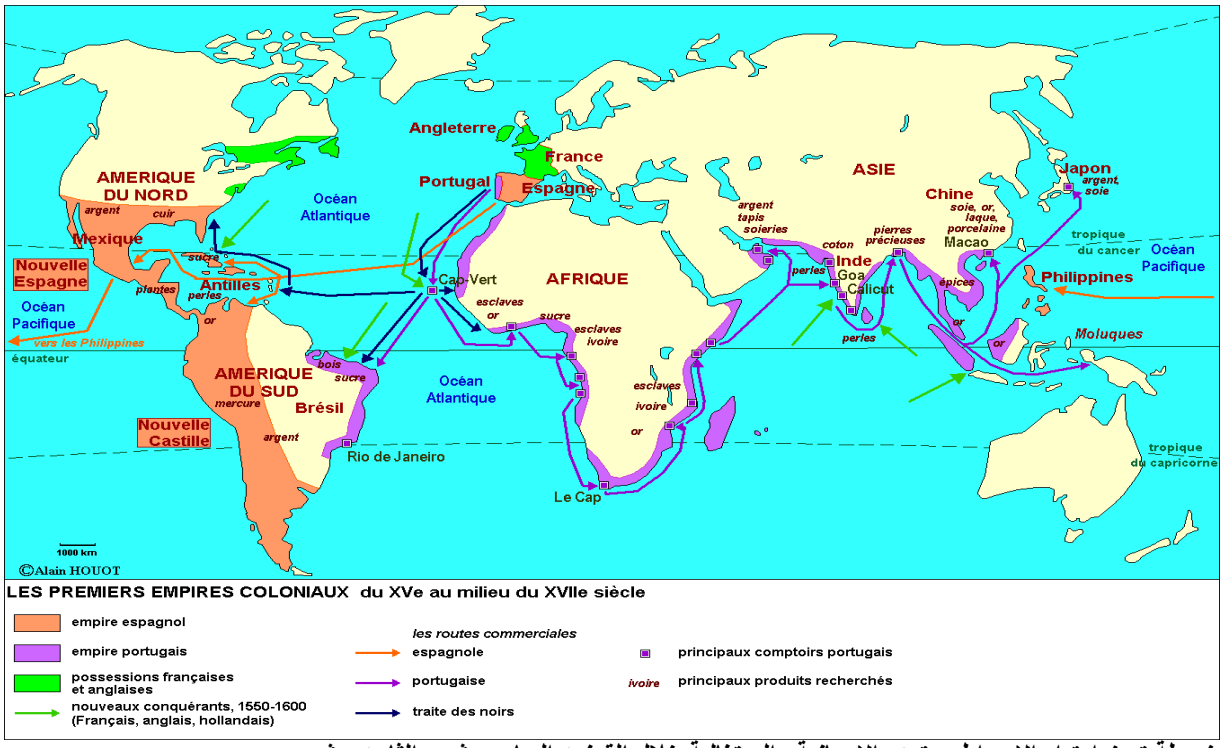

خريطة تبرز امتداد الامبراطوريتين، الاسبانية والبرتغالية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

د- مراحل الاستعمار الأوروبي الحديث:

مرّ بمرحلتين أساسيتين هما:

أ- تغطي الفترة الممتدة من العشرية الأخيرة للقرن الخامس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر. اقتصرت على التوسع في قارتي أمريكا عادة (الانجليز والفرنسيين في الشمال، الاسبان في الوسط والجنوب، البرتغال في البرازيل) ونشاط الشركات التجارية في الهند الشرقية، تميزت هذه المرحلة بهجرة المعمرين إلى الأوروبيين إلى المستعمرات، أو ما أطلق عليه الاستعمار السكني الاستيطاني والزراعي الذي عرفته أساسا العروض المعتدلة، على غرار أمريكا الشمالية ونيوزيلندا وأستراليا وأمريكا الجنوبية[1].

ب- تشمل التوسعات الأوروبية التي عرفتها القارتين الأسيوية والإفريقية أي المناطق المدارية الحارة من الناحية المناخية، وذلك خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وقد غلب على استعمار هذه المرحلة الطابع الاستغلالي ونهب الثروات، أما الاستيطان فقد اقتصر على مناطق جد محدودة

1 - **جمال حمدان**، استراتيجية الاستعمار والتحرر، (ط.1، دار الشروق، بيروت: 1983)، ص.49.

مثل الجزائر وجنوب إفريقيا، وهي المرحلة التي يخصها مقرر الدراسة، والتي سنعود إلى دراستها بالتفصيل لاحقا.

كل مرحلة منهما ارتبطت بعدة تطورات فيما يخص مناحي الحياة البشرية، سواء كان ذلك في المستعمرات أو في أوروبا، فالمرحلة الأولى عرفت الانقلاب التجاري بفضل ما أطلق عليه في الغرب "حركة الكشوفات الجغرافية" وما رافق ذلك من تطور للتجارة الأوروبية خاصة والعالمية عامة، وما رافقها كذلك من تطور في الأفكار والمبادئ الاقتصادية، التي بدورها انعكست ايجابا على المرحلة الثانية التي شهدت الانقلاب الانقلاب المكانيكي في البداية ثم تبعه انقلاب صناعي شامل مازالت وتيرته التنموية متواصلة إلى اليوم، وهذه الأحداث مرتبطة ارتباطا وثيقا ببعضها البعض[1].

الخاتمة:

-الحركة الاستعمارية الأوروبية مرتبطة زمنيا بفترة تتجاوز خمسة قرون (القرن 15- القرن20)، من حروب الاسترداد الاسبانية إلى "الكشوفات الجغرافية" ثم إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وأطلق عليها رسميا "الحروب الكولونيالية- الاستعمارية، منها الثورة الفيتنامية، الثورة الجزائرية...

- من أبرز دوافع الحركة الاستعمارية في بدايتها هو الغرض التجاري والوصول إلى مراكز انتاج التوابل وبحثا عن الذهب، لكن اتسعت أسبابها خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، حتى طغت الرغبة السياسية في السيطرة.

- خلالها اكتشف ما أطلق عليه "العالم الجديد" (قارتي أمريكا، أستراليا ونيوزيلندا) وبذلك فقد "خُلق عالم آخر" حسب تعبير الجغرافي المصري جمال حمدان.

- تأكيد كروية الأرض بعد رحلة البرتغالي ماجلان (1519-1522)

- إبادة تامة لحضارات ولشعوب في المناطق المحتلة بصفة خاصة الهنود الحمر.

- ممارسة تجارة الرق لمدة تجاوزت ثلاثة قرون.

1- **جمال حمدان**، المرجع السابق، ص.49

– الظاهرة الاستعمارية الأوروبية مرتبطة بالتوسع خارج أوروبا، السيطرة على الأوطان والشعوب، الاستعباد والاستغلال.

الاستعمار الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين

تعريفه وأسبابه.

مقدمة: يعد القرن التاسع عشر مرحلة حاسمة في التاريخ السياسي للعالم والعلاقات الدولية، فقد حصلت فيه تغيرات هامة على مستوى العالم الغربي عموما والقارة الأوروبية خصوصا، فالإمبراطوريات الاستعمارية التقليدية (إسبانيا والبرتغال) اضمحلت وتراجعت، ونفس الأمر وقع للأنظمة السياسية المطلقة بسبب الثورة الفرنسية الكبرى (1789)، وحروب نابليون بونابرت الفرنسي في بداية القرن التاسع عشر، إضافة إلى ذلك، التحولات العميقة التي أحدثتها الثورة الصناعية في المجال الاقتصادي، ومبدأ القومية من الناحية السياسية، الأمران اللذان جعلا كامل أمم غرب أوروبا تقريبا، تسعى إلى تنمية قوتها وتوسيع نفوذها في الداخل والخارج. تلك الاحداث كلها أعطت نفسا جديدا للنزعة التوسعية الاستعمارية على حساب الشعوب والدول الضعيفة. فماهي خلفيات وخبايا وتداعيات تلك الأحداث؟

1- تجدد الاستعمار الأوروبي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين:

سبق وأن أشرنا إلى الانقلابات الاقتصادية الهامة التي رافقت الحركة الاستعمارية الأوروبية ككل منذ ظهورها في نهاية القرن الخامس عشر، فإذا كان السعي لتوسيع الحركة التجارية الأوروبية إلى منابع انتاج التوابل والذهب في كل من إفريقيا وأسيا، بعيدا عن احتكار وتحكم العالم الاسلامي في طرق هذه التجارة مشرقا ومغربا[1]، وما تولّد عن ذلك من "انقلاب تجاري" وكشوفات جغرافية، فإنّ القرن التاسع عشر عرف الانقلاب الصناعي، الذي بدوره بعث فكرة تجديد الحركة الاستعمارية، وهو الشيء الذي حصل خاصة بعد 1870، بل أصبحت أكثر شدة ومنافسة فيما بين الدول الأوروبية حتى أدت إلى حروب وأزمات دولية عديدة، سواء كان ذلك في أوروبا أو في إفريقيا وأسيا[2].

1- **Jacques Arnault,** Procès de colonialisme, (Ed., L'Harmattan, paris, 2011), p.24-26

2- احتدم التنافس فيما بين الأوروبيين حول المستعمرات إلى حد استعمال السلاح في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين، من أمثلة ذلك: التنافس الفرنسي الانجليزي في إفريقيا (أزمة فاشودة سنة 1898 في السودان) ، حرب البوير (1899-1902) في جنوب إفريقيا بين الجيش البريطاني وأحفاد المستوطنين الهولنديين، الألمان والفرنسيين في المغرب الأقصى 1912. أنظر:

على هذا الأساس، يقول الجغرافي المصري جمال حمدان " *إذا كان الانقلاب التجاري قد كشف عالما جديدا، فإنّ الانقلاب الصناعي قد خلق عالما جديدا- وفرق بين الكشف والخلق كبير...فالانقلاب إذن أخطر نقطة انقطاع في تاريخ الانسانية، ولعله كذلك في تاريخ الاستعمار وسياسة القوة*"[1].

يقصد الكاتب بمصطلح الانقلاب، ذلك التحول العميق والجذري الذي عرفته الصناعة في بريطانيا أولا وبصفة خاصة خلال سنة 1820 والذي انتقل الى فرنسا مع سنة 1830[2]، فأعطى للدولتين القوة والرغبة في السيطرة على العالم، الأمر الذي حصل مع بداية التغيرات التي عرفتها التعاملات التجارية الانجليزية في بلاد الهند خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر، ثم غزو فرنسا للجزائر سنة 1830، وهذه الأحداث أعطت نفسا جديدا للتوسعات الأوروبية في القارتين الأسيوية والإفريقية، حيثما غاب في الزمان والمكان مثالية وعقلانية الكائن الإنساني، اللتان فسحتا المجال للعنصرية والاستبداد، السيطرة والاستغلال، وهي ويلات عانت منها الشعوب الإفريقية والأسيوية خلال رحلة " الرجل الأبيض في مهمته لنشر الحضارة" ما بين 1830 و1975 [3].

2- أسبابه:

Jean Kogej, Les mutations de l'économie mondiale du début de XXè siècle aux années 1970 en fiches, (Ed., Breal, Paris, 2008), p.63

1- جمال حمدان، المرجع السابق، ص.103

2- نفسه.

3- سنة 1975 مرتبطة بتاريخ استقلال جزر الرأس الأخضر التي وصلها البرتغاليون سنة 1456، الذين ضموها إلى تاجهم سنة 1460، لتحصل البلاد على الاستقلال بالوحدة مع غينيا بيساو سنة 1975، ثم الانفصال وتشكيل جمهورية جزر الرأس الأخضر سنة 1980. أنظر:

http://www.axl.cefan.ulaval.ca/afrique/Cap-Vert.htm consulté le 14 novembre 2018.

أولا: البحث عن الثروة: عند بداية الحركة الاستعمارية الأوروبية وتأسيس الامبراطوريتين الاسبانية والبرتغالية تم تبرير الاستعمار بدافعين مشتركين ومتكاملين، أحدهما فكري والآخر مادي، وهما تنصير وتمدين العالم وأيضا استغلال ثرواته، والشيء الذي يجمع السببين أنّ الأول يبرر الثاني[1].

هذه الفترة التي تشمل بداية التوسع الأوروبي مع الكشوفات الجغرافية وتناميه خلال القرن السادس عشر، ينتزع عنها المؤرخ الفرنسي غي بيرفييه (Guy Pervillée) الرغبة السياسية في التوسع للدول الأوروبية، ويقول عن تلك الإرادة، أنّها "*لم تكن موجودة فعلا*" وذلك على الأقل قبل "زمن الامبريالية"[2]، وحسبه دائما، فإنّ الامبراطوريات الاستعمارية الأوروبية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر لم يتم غزوها بجيوش الدول المعنية، بل المبادرة تُركت للخواص وللشركات، ثم يضيف، "*حيث فوّضت لها الدولة حقوقها السياسية التي يمكن استعادتها فيما بعد، اي عند انتهاء عملية الغزو. إنّ هذا الانتداب للمبادرة الامبراطورية يعد مؤشرا ذو ميزتين، فهو مريح ومحفوف بالمخاطر في نفس الوقت*"[3].

لقد قامت الدولة فعلا بتفويض الحقوق السياسية في الامبراطوريتين الاستعماريتين الاسبانية والبرتغالية لغزاتها (لوس كونكيستادوريس–Los conquistadores)[4]، أما غياب الرغبة السياسية – ولو مؤقتا– التي أشار إليها بيرفييه لا نتفق معها، لأنّ كل الدلائل التاريخية والسياسية تثبت وجود إرادة في التوسع على المستويين الرسميين البرتغالي والاسباني، ثم نفس الأمر حصل لدى الانجليز والفرنسيين في شمال أمريكا والهند وغرب إفريقيا، و خير دليل على ذلك التدخل البابوي لتسوية النزاع الاسباني–البرتغالي حول مناطق التوسع في العالم (معاهدة توردیسیاس)، و توسط الفاتيكان غرضه تفادي نشوب الحرب بين

1– **Guy Pervillée**, op. cit., p.330

2– سنعود إلى هذه الفكرة لاحقا.

3– **Guy Pervillée**, op., cit., p. 330

4– في صيغة الجمع ويعني الغزاة، مشتق من الغزوة أو كونكيستا في الاسبانية والمصطلح يقصد به في القواميس الاسبانية كل غاز عمل على توسيع الامبراطورية التي ينتمي إليها على حساب غيرها، ومنهم الاسكندر الاكبر مثلا. أما في اللغات غير الاسبانية والبرتغالية فالمصطلح مرتبط بالمستكشفين والمغامرين والجنود الذين شاركوا في توسعات البلدين الايبيريين في القارة الأمريكية خلال القرن السادس عشر. أنظر:

https://educalingo.com/es/dic-es/conquistador , consultado el día de 14 de septiembre de 2019.

المملكتين الايبيريتين، النزاع المحتمل وقوعه قد ينسف بشبه الجزيرة كاملة، و في وقت لاحق، حتى ملك فرنسا فرانسوا الأول اغتاظ من تلك الوساطة، بسبب العداء الذي يكنّه لشارل الخامس إمبراطور النمسا والمجر وملك اسبانيا في نفس الوقت، فاحتجت المملكة الفرنسية لدى البابا في روما معلنة امتعاضها من موقف مقر الكنيسة الكاثوليكية بتقسيمه للعالم بين القوتين الايبيريتين[1]. نفي هذه الفكرة أشار إليها كذلك الفرنسي جاك أرنو حيث قال: *"إنّ محرك تاريخ المؤسسات الاستعمارية لم يكن إرادة شخصية للبحارة، للمستكشفين، لرجال السياسة والعسكريين. بدون شك، فقد كانت لهم قدرات على تحديد الاتجاه العام للمؤسسة، لكنهم لم يكونوا القوة الحاسمة"*[2].

ظلت **الغاية الاقتصادية الدافع الرئيسي للتوسع الأوروبي** منذ بداية الحركة الاستعمارية لدول غرب أوروبا، وبصفة خاصة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، لأنّ الرغبة في المغامرة لم يعد لها مكان في حركة السفن، فالقوى الاستعمارية الجديدة (المقاطعات المتحدة، فرنسا وبريطانيا) أصبحت تتصرف بشركاتها في مستعمراتها أيضا، الأمر الذي أدى إلى نمو التوسع التجاري، وأطلق على ذلك العهد "زمن الميركنتيلية"[3] وهو الوقت الذي فُرض فيه على المستعمرات تزويد الميتروبول[1] بالمعادن الثمينة

1- **Laurent Vidal**, « La présence française dans le Brésil colonial au XVI^{e} siècle », Cahiers des Amériques latines N° 34 (Institut des hautes études de l'Amérique latine, univ. Sorbonne, 2000, Paris), p.18

2- Jacques Arnault, op., cit., p.32

3- (Mercantilisme) يقصد به مذهب التجاريين، وهو التيار الاقتصادي الذي عرفته أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، أي بعد الكشوفات الجغرافية، حيث ازدهرت المبادلات التجارية ونشأة الدول الحديثة. هذه الدول عملت على تنمية ودائعها من المعادن الثمينة، إذ ساد الاعتقاد بأنّ قوة الدولة مرتبطة بما تكتنزه من هذه الثروات.

الميركنتيلية قائمة على امتلاك المعادن الثمينة كالذهب والفضة، التي بدورها تعبر عن ثراء البلد، وفي العقيدة الميركنتيلية، فالأفراد ليسوا فقط أعوان إقتصاديين، بل أناس بأنشطة مهنية مختلفة حيث تسعى هذه العقيدة لدمجها، لأن الفكر الاقتصادي القديم رأى اختلاف بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية للشركاء الاقتصاديين، وهو الشيء الذي يعارضه مذهب التجاريين، بل ناد لجمع المصلحتين في نفس الكيان لتكوين أمة قوية على أساس المصلحة العامة، والهدف الأسمى هو دعم قوة الدولة، التي يجب عليها أن تحافظ على ثروتها داخل حدودها الجغرافية، كما يجب عليها أيضا تقييد الواردات وتشجيع الصادرات، الشيء الذي نتج عنه مبدأ الحماية الاقتصادية(protectionisme).

والمنتجات المدارية، لتستقبل بالمقابل المنتجات الصناعية الأوروبية، هذه التجارة غير المتكافئة كان يحميها الاستعماريون بما أطلق عليه التجاريون "الحماية الاقتصادية" (Protectionisme) من خلال إصدار قوانين صارمة والتي تتحكم في قيمة المبادلات[2].

استمر شبح البحث عن الثروة والرفاهية يطارد الاستعماريين الأوروبيين ويدفعهم بكل حماس للقيام بذلك، ثم عملت **الثورة الصناعية** التي عرفها غرب أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر، وكعامل حاسم، على تجدد واشتداد الحركة الاستعمارية في أسيا وإفريقيا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

ففي الجانب التجاري **تأسست شركات أوروبية عملاقة** من طرف بريطانيا، المقاطعات السبع المتحدة وفرنسا التي مارست الفعل الاستغلالي للمناطق المسيطر عليها في جنوب أسيا وإفريقيا[3].

وهناك ثلاثة أنواع من الميركنتيلية:

– اسبانية: قائمة على جمع الذهب والفضة القادم من العالم الجديد ومنعهما من الخروج من البلد.

– انجليزية: طابعها الجغرافي جعلها تشجع التجارة البحرية وحرية التبادل للحصول على المعادن الثمينة التي لا تمتلكها.

–فرنسية: قائمة على مؤهلات إقليمها وسكانها، فشجعت الزراعة والصناعة بنوعيها، بذلك رأت ضرورة تدخل الدولة في توجيه الاقتصاد من فرض الرقابة الجمركية وتشجيع المؤسسات الخاصة في نشاطها من أجل الحصول على الذهب. أنظر:

https://www.lemondepolitique.fr/cours/introduction-economie/pensee-economique/mercantilisme.html consulté le 18/03/2018

1– الكلمة إغريقية الأصل، ميتر(Meter) أي الأم، وبوليس(polis) وتعني المدينة، وهي تلك المدن من بلاد الاغريق التي كونّت مستوطنات في مختلف المناطق على شواطئ المتوسط، مثل مدينة مرسيليا (ماساليا في الأصل) التي أسسها الإغريق الوافدين من فوصة أو فوتشا حاليا (تابعة لتركيا اليوم في مقاطعة إزمير). أنظر:

https://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/m%C3%A9tropole/69874 , consulté le 03/09/2018

2– Pervillée, op., cit., p. 330

3– الشركة البريطانية للهند الشرقية التي تأسست سنة 1599، ثم أحاطتها الملكة إليزابيت الأولى في 31 ديسمبر 1600 بميثاق سمح لها باحتكار تجارة الهند، واتخذت هذه الشركة للتوسع في هذه المنطقة. لكن ميثاق احتكار التجارة ألغي سنة

وباعتبار أنّ الاستعمار إبن التجارة في الاعتقاد الأوروبي، وذلك نتيجة لما حققته هذه الوسيلة من توسعات في عهد النظام القديم(Ancien régime) في التعبير السياسي الفرنسي (يقصد به الأنظمة الملكية قبل 1789)، أو في الفترة الممتدة من نهاية القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، وانهيار الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية الأولى مثلا، بسبب التخلي عن نظام الشركات التجارية الاستعمارية ذات الامتيازات[1]، حسب ما أشاعه المشرعين الاستعماريين أمثال بول لوروا بوليو[2]، وأوجين إتيان[3]، نائب كانت الدولة للمستعمرات، الذي عرض على المجلس الأعلى للمستعمرات (Le Conseil supérieur des colonies)، إعادة بعث إنشاء هذا النوع من المؤسسات التوسعية، إستجابة

1818، ثم انتزعت من الشركة صلاحيات تسيير المستعمرة بصدور" قانون حوكمة الهند Governement of India Act–" في 2 أوت 1858 الذي نقل السلطات إلى التاج. أما الفرنسيون فقد أسسوا شركتهم في 1665. أنظر:

https://data.bnf.fr/fr/13516315/east_india_company/

https://data.bnf.fr/fr/temp-work/a6b9bd23132160082443c9a459061212/

أما الشركة النيرلندية للهند الشرقية فقد تأسست سنة 1602، وأطلق عليها "فوك" (VOC)وهو مختصر لاسمها الأصلي(Verenigde Oostindische Compagnie)، وقد أفلست هذه الشركة سنة 1799، فتحكمت الحكومة الهولندية في مستعمرة أندونيسيا. أنظر:

http://expositions.bnf.fr/marine/arret/11-6.htm

1– كانت في أمريكا الشمالية وبعض جزر الأنتيل، فقدت كندا لصالح بريطانيا، كما فقدت أيضا بعض مراكزها في الهند بعد حرب سبع سنوات 1756–1763، وتنازلت عن لويزيانا للولايات المتحدة الامريكية عن طريق البيع سنة 1803. أما عن الشركات الاستعمارية فقد عرفت فرنسا تأسيس ستة وخمسين شركة في القرن السابع عشر و19 شركة في القرن الثامن عشر، أنظر:

Joseph Chailley Bert, Les Compagnies de colonisation sous l'ancien régime, (Ed., Armand Colin, Paris, 1898), pp. 1–21

2– **Paul Leroy Beaulieu**, De la colonisation chez les peuples modernes, (Ed., Guillaumins et Cie, Paris, 1882), p.v

3– ولد بوهران سنة 1844، ثم أصبح نائبا في الفرنسي عن هذه المدينة ما بين 1881–1919، له كتاب :

Les Compagnies de colonisation

لاهتمامات الرأي العام الفرنسي المؤيد لذلك، الأمر الذي سيسمح بدوره ، على إبراز أهمية وقيمة الأقاليم التي هي تحت التأثير الفرنسي وغير المعروفة جيدا، على غرار مناطق في إفريقيا الغربية والاستوائية وجنوب شرق أسيا[1]، ، وكل ذلك من أجل استغلالها.

رفضت الحكومة الفرنسية تحمل مسؤولية إعادة بعث الشركات الاستعمارية، وذلك بسبب التنازلات الكبيرة التي حملها مشروع القانون الذي عرضه أوجين إتيان على المجلس الأعلى المستعمرات، الذي زاد أيضا في الامتيازات الممنوحة للمؤسسات المحتملة، الشيء الذي فتح بابا واسعا للنقاش في مجلس الشيوخ والبرلمان، اللذين أظهرا فيهما بعض النواب حقيقة معارضتهم لتلك الشركات، لأنّ الأوضاع السياسية قد تغيرت بين ما أطلق عليه سياسيا "النظام القديم"، الذي سيطر فيه الملك والنبلاء على جميع أمور ودواليب الدولة، والذين هم أيضا المساهمين الكبار مع التجار والبحارة في تلك المؤسسات الاستعمارية، وأنّ تلك الشركات قد انهارت في القرن التاسع عشر وعلى رأسها الشركة الإنجليزية للهند الشرقية، ومن أسباب الرفض أيضا، عدم قدرة هذه الشركات القيام بمهمة الاستعمار، بل تعمل للمصلحة الفردية، ومن أمثلة ذلك الشركة الفرنسية لإفريقيا الغربية التي أسسها ويديرها فريدريك بون (Frédéric Bohn) منذ عشر سنوات[2].

رغم استمرار الصراع بين الجناح المؤيد للاستعمار و الطرف الرافض لذلك، كانت مسالة اعادة بعث الشركات الاستعمارية في فرنسا إشكالية سياسية و اقتصادية، و ذلك طيلة مدة العشرية الأخيرة من القرن التاسع عشر، إلا أنّ الفريق الأول منهما استطاع أنّ يتجاوز ذلك عبر دواليب الادارة التي يتحكم فيها في الميتروبول، وذلك من خلال التنازلات التي تحصل عليها الخواص الفرنسيون لاستغلال ثروات إفريقيا الاستوائية ومدغشقر ما بين 1891 و 1900 [3].

ثانيا: نشر المسيحية.

1- **Pierre Bonnassieux**, Les grandes Compagnies de commerce ; études pour servir à l'histoire de la colonisation, (Ed., Plon, Paris, 1892), p. 534

2- Ibid., p. 542

3- سنعود إلى هذه الفكرة في تداعيات الاستعمار في قارة إفريقيا.

إذا كان البحث عن الثروة هي الغذاء المادي الذي رافق ظاهرة التوسع الاستعماري منذ بدايتها خلال القرن الخامس عشر، فإنّ عملية التنصير قد شكلت الدافع الروحي لتلك التوسعات، و ذلك للسلطة السياسية والكنيسة معا، فالتبشير سار في حركة موازية مع الفعل الاستعماري، ومهما كانت عقيدة المبشرين من كاثوليك وأرثوذكس أو بروتستانت مختلفة مع العسكريين، فإنّ التفاهم قد حصل بينهم في مهمة التنصير، فالبندقية دعمت الصليب، و العكس صحيح، أما البابوية فقد زكت الغزو ورأته وسيلة لغاية وجودها، و تدعيما لذلك أسس البابا غريغوار الخامس عشر في سنة 1622 المجمع المقدس للدعوة ونشر الايمان (Sacra Congregatio de propaganda fide) وهو العمل الذي سار على نهجه جميع الباباوات الذي تعاقبوا على الفاتيكان، من أمثال بنيديكت الخامس عشر (1914-1923) ويوحنا الثالث والعشرين (1958-1963) وغيرهم [1].

هذه المقارنة البسيطة، تعيدنا للنظر في نشاط الفرق التبشيرية في كل المستعمرات، على غرار فرقة الأباء البيض في الجزائر، ونشاط الكاردينال لافيجري بين سنة 1867 (تاريخ تعيينه قس على مدينة الجزائر)، و أعوام 1882-1892، التي رأى فيها بأنّ الجزائر وتونس بوابتان لتنصير كامل إفريقيا[2].

مع ذلك، فإنّ المهمات التبشيرية التي رعتها الكنيسة والدولة الاستعمارية جنبا إلى جنب، لم تضبط تناغم العلاقات بين الاستعماريين ورجال الدين دائما -رغم أنّ جميعهم يمثلون الغزاة في الحقيقة- بل كان التواصل بينهم يلتقي ويتنافر في مواضع ومواقع عديدة وعبر طول الفترة الاستعمارية، الشيء الذي أبرزه كتاب لحوالي 25 مؤرخ باحث في هذا المجال[3]، ففي فترة التوسعات الاسبانية والبرتغالية سارت الحركة الاستعمارية والتبشيرية في حركة أفقية متلاحمة، ولم تفترق الواحدة عن الأخرى، بل دعمتا

---

1 -**Joseph Bouchaud**, « Evangélisation et colonisation », Outre Mer-Revue d'histoire année 1967, (France), pp. 39-42.

2 - **Janin Raymond**, « Goyau (G), Un grand Missionnaire, Le Cardinal Lavigerie, (compte rendu) », Revue des études byzantines N° 143, (année 1926, France), p. 380

3- أنظر إلى:

Diminique Borne, **Falaize Benoir et al.**, Religions et colonisation, afrique, asie, Oceanie, Amiriques XVIe-XXe siècle, (Ed., de l'Atelier, Paris, 2009), 328p.

بعضهما بعضا في توسعاتهما واستقرارهما، وعليه، ارتبطت المؤسسة الدينية بالسلطة السياسية في علاقة وثيقة، فالدين (المسيحية) شكل الاطار المبدئي، والكنيسة ساهمت بشكل فعال في تحقيق السيطرة الاستعمارية، الشيء الذي أشارت إليه الباحثة الفرنسية شارلوت كاستيلنو ليتوال (Charlotte Castelnau l'Estoile)، في تصريح لها حول الكاثوليكية الاستعمارية[1] (Le Catholicisme colonial).

خلال القرن التاسع عشر، وفي زمن اشتداد التنافس الاستعماري بين القوى الامبريالية الأوروبية، كانت المهمات التبشيرية في الصف الأول للفعل الاستعماري، أي أنّها مهدت له في حركته التوسعية ودعمت استقراره، وقد ساد في مخيلة الاستعماريين، أنّ الدين مرتبط بالعرق، فالمسيحية هي دين المجتمعات المتحضرة، عقيدة أوروبا، وهي بذلك في أعلى المراتب، ثم تأتي الديانات الشرقية من البوذية، الأنامية، الكونفوشيوسية والهندوسية، و أخيرا يأتي الاسلام و"رسوله المزيف" في الاعتقاد الاستعماري، ذلك هو ترتيب الديانات في المناهج المدرسية للجمهورية الفرنسية الثالثة (1870-1940) ما بين 1881 و1914[2].

ومن المهمات التبشيرية الهامة في المستعمرات نجد:

- مجمع الكلام المقدس((Societas Verbi Divini (SVD) في أندونيسيا.
- الأباء البيض في الجزائر وغيرها من المستعمرات الفرنسية
- منظمة اليسوعيين...
- جمعية لندن التبشيرية(London Missionary Society)، والمجمع المعمداني التبشيري(Baptist Missionary Society)، التي مارست نشاطها في جميع المستعمرات البريطانية في

1- https://www.youtube.com/watch?v=e3r2R-Gj0Yw

2- **Diminique Borne, Falaize Benoir et al.**, op. cit.

إفريقيا وأسيا.[1] كما ساد في الاعتقاد الأوروبي "فكرة نشر الحضارة" واللغات والتقاليد والثقافة والمدنية الأوروبية الحديثة في أوساط الشعوب "المتوحشة".

ثالثا: أسباب اجتماعية وسياسية

التخلص من الفائض السكاني، ومن مجموعات بشرية مختلفة مقلقة للسلطة في أوروبا، كالمجرمين والفقراء، وذلك من أجل توظيفها واستثمارها في المستعمرات، وتشكيل معمرين يضمنون ربط المستعمرة بالوطن الأم على غرار ما فعله الاسبان والبرتغاليين في قارتي أمريكا، وأيضا إبعاد العناصر غير المرغوب فيها و على رأسهم المعارضين السياسيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين[2]، سواء كان من أبناء الوطن أو أجانب تحصلوا على صفة "أجنبي لاجيء" (Etranger réfugié) في البلد المستقبل، وهي الحالة والصفة التي كانت تمنحها فرنسا للمعارضين من الأوروبيين لحكومات بلدانهم عند اللجوء إلى فرنسا، خاصة بعد ثورة جويلية 1830 بباريس، إذ أصبحت هذه الاخيرة قبلة للمعارضين السياسيين الأوروبيين، الذين بلغ عددهم خمسة ألاف وأربع مائة لاجيء بصفة قانونية حسب تقرير برلماني يعود إلى سبتمبر 1831، وخوفا من تحول هؤلاء إلى قوة محتملة مدعمة لأي تمرد جماهيري بباريس ضد الحكومة، قامت السلطات الفرنسية بتوطينهم مؤقتا في مدن متوسطة وصغيرة الحجم في جنوب البلاد (مقاطعة لابروفانس)، بعد ذلك تم تحويلهم إلى الجزائر، واستمرت عملية تحويل هؤلاء اللاجئين من نفس السنة التي تم فيها القيام بالتقرير البرلماني أعلاه إلى غاية بداية عهد نظام الامبراطورية الثانية بفرنسا (1852-1870)، وهو الموضوع الذي تم البحث فيه تحت إشكالية "غير

---

1 - **Bernard Salvaing,** « Missions chrétiennes, christianisme et pouvoirs en Afrique noire de la fin du XVIIIe siècle aux années 1960 », Outre mer Revue d'histoire N° 350-351, (Année 2006 France), pp. 296-300

2- **جعفر عباس حمدي**، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (ط 1، دار الفكر للطباعة، عمان، 2002)، ص 90.

المرغوب فيهم بالمتروبول، صالحين بالجزائر؟ اللاجئين السياسيين الأجانب والاستيطان (1830-1852)[1].

رابعا أسباب إستراتيجية: مرتبطة أساسا بالسيطرة على المضايق البحرية والجزر والمواقع التي تتحكم في طرق المواصلات والمنافذ التجارية.

الخاتمة:

تعددت أسباب الاحتلال والاستعمار والغاية واحدة هي التحكم في الثروات الاقتصادية في بلدان الشعوب الضعيفة، التي بدورها أصبحت تعاني الاستغلال والحرمان ومصادرة حرياتها في أوطانها باحلال عنصر أوروبي دخيل تدعمه الدولة الاستعمارية بالحماية العسكرية والقانونية على حساب "الأهالي".

1- **Delphine Diaz,** « Indésirables en métropole, utiles en Algérie ? Les réfugiés politiques étrangers et la colonisation (1830-1852) », Revue d'histoire du XIXe siècle N° 51, (2015, France), pp.187-204.

أشكال الاستعمار وأساليبه

مقدمة:

التنافس الاستعماري الأوروبي ووجود قوى محلية في القارات التي خضعت للاستعمار الأوروبي جعل منظري التشريع وتنفيذ الاستعمار يبحثون عن طرق مختلفة لتنفيذ مشاريعهم التوسعية بأقل الخسائر الممكنة، وذلك مرتبط بواقع المستعمرة وإمكانياتها في مواجهة العدو. فما هي الأساليب وأشكال الاستعمار الأوروبي في قارتي إفريقيا وأسيا؟

1- طرق تنفيذ المخططات الاستعمارية:

أ-الغزو العسكري:

تم وصفه في أدبيات الدراسات الاستعمارية بـ "الطرق المباشرة"، التي تظهر في إرسال حملة عسكرية بمعدات ضخمة بغرض الغزو، وعادة ما تستعمل هذه الطريقة في حالة وجود سلطة وقوة محلية يمكنها المواجهة والتصدي للاعتداء. هذا الأسلوب جسدته فرنسا مثلا في الجزائر سنة 1830، بعد حصار دام ثلاث سنوات، وذلك من خلال ما أطلق عليه بالحملة الفرنسية على الجزائر، أو مثلما جاءت في تسميتها الرسمية بـ "حملة إفريقيا-Expédition d'Afrique"، وبالفعل كانت عملية الغزو تلك، بداية لاحتلال كل القارة الإفريقية[1].

ب-الطرق غير المباشرة:

-الحماية:

يقصد به فرض إدارة استعمارية لمراقبة السلطة الوطنية القائمة من خلال معاهدة دولية بين الطرفين، تلك الاتفاقية تخوّل للنظام المحلي القائم وبشكل صوري فقط بتسيير الشؤون الداخلية للبلاد،

1- عن تفاصيل الحملة الفرنسية على الجزائر أنظر:

-**Barchou de Penhoen**, Mémoires d'un officier d'Etat-major : expédition d'Afrique, (Ed., Charpentier, Paris, 1855), 448p.

أما السياسة الخارجية والدفاع والمالية والأمن وبعض المصالح الإدارية الحساسة تسيطر عليها الدولة الاستعمارية بتعيين ممثلين وقادة عسكريين أوروبيين يشرفون على المراقبة، وبذلك فقد خضعت الدول المعنية بالحماية للسيطرة كغيرها من المستعمرات[1]. هذا النموذج طبق على تونس والمغرب الأقصى ومصر وبعض مناطق في الهند مثل راجستان وغيرها.

-الانتداب:

وهو قيام دولة قوية بتقديم توجيهات لدولة ناشئة التي تعاني من مشاكل من أجل تحسين أوضاعها والنهوض بها إلى وضع أحسن، وتلك مبادئ نص عليها ميثاق عصبة الأمم، الذي أكد بأنّ المستعمرات ليست ممتلكات خاصة لاستغلالها فقط، بل تقتطنها شعوب التي يجب حمايتها وتسيير شؤونها من أجل هدف واحد وهو تحسين أوضاعها[2]. وبذلك فهو موجز مفهوم "الحكم الراشد" الذي ناد به مفكرين إنجليز وفرنسيين منذ نهاية القرن التاسع عشر[3]، ويبقى الشيء الجديد في هذا النوع من الاستعمار أنّه أقرته عصبة الأمم في ميثاقها في المادة الثانية والعشرين[4]. وقد فرض هذا النظام على

1- https://www.universalis.fr/encyclopedie/protectorat/ consulté le 26/04/2019

2- **Véronique Dimier**, « L'internationalisation du débat colonial : rivalités autour de la Commission permanente des Mandats », Outre Mer Revue d'histoire N°336 – 337 (année2002, France), p.334

3- Ibid.

- نص المادة 22 من صك عصبة الأمم، وهي المادة التي بني عليهانظام الانتداب الصادر في 24 تموز 1922
ف1) . المستعمرات والأقاليم التي ترتب على الحرب الأخيرة أنها لم تعد تخضع لسيادة الدول التي كانت تحكمها، والتي تقطنها شعوب غير قادرة على الوقوف وحدها في الأحوال القاسية للعالم الحديث يطبق عليها المبدأ القاضي بأن رفاهية هذه الشعوب وتقدمها إنما هي أمانة مقدسة في عنق المدنية، وبأن يشتمل العهد على الضمانات الكفيلة بالاضطلاع بهذه الأمانة.
ف2) إن أفضل وسيلة لوضع هذا المبدأ موضع التطبيق العملي هو أن يعهد بالقوامة على هذه الشعوب إلى الأمم المتقدمة، التي هي بحكم مواردها وتجاربها وموقعها الجغرافي، في مركز يسمح بالاضطلاع بهذه المسؤولية، والتي هي راغبة في قبولها، وأن تزاول هذه القوامة بوساطتهم، بوصفهم سلطات قائمة بالانتداب، وذلك بالنيابة عن العصبة.
ف3) يتعين أن يتفاوت طابع الانتداب بحسب مرحلة، تقدم الشعب، الموقع الجغرافي للإقليم، وأحواله الاقتصادية والأحوال المشابهةالأخرى.
ف4) إن بعض الجماعات التي كانت تابعة للإمبراطورية التركية قد وصلت إلى مرحلة من التقدم يمكن معها الاعتراف، بصفة مؤقتة، بوجودها كأمم مستقلة، مع تقديم المشورة والمعونة الإدارية من جانب السلطة القائمة بالانتداب، حتى يحين الوقت الذي تصبح به قادرة على الوقوف وحدها، ويتعين أن تكون رغبات هذه الشعوب هي الاعتبار الرئيسي في اختيار السلطة القائمة بالانتداب.
ف5) وثمة شعوب أخرى، وبخاصة شعوب وسط إفريقيا، ما زالت في مرحلة يتعين فيها أن تكون السلطة القائمة بالانتداب مسؤولة عن إدارة الإقليم وفقاً لشروط تكفل حرية العقيدة والأديان مع مراعاة المحافظة على النظام العام والآداب، بتحريم الإساءات كتجارة الرقيق والاتجار بالأسلحة والاتجار

أجزاء من الوطن العربي الخاضع للدولة العثمانية إلى غاية الحرب العالمية الأولى، وقد شمل العراق، وبلاد الشام.

- **الوصايا:**

أنشأته هيئة الأمم المتحدة وفق الفصل الثاني عشر من ميثاقها سنة 1945، وقد حددت تفاصيله المادتين 76 و 77 منه، و هو لا يختلف عن نظام الانتداب إلا في جزئيات محدودة[1].

بالخمور، ومنع إنشاء استحكامات أو قواعد حربية وجوية، والتدريب العسكري للأهالي لأغراض غير الشرطة والدفاع عن الإقليم، وضمان تهيئة فرص متكافئة لأعضاء العصبة الآخرين في الاتجار والتجارة.

فـ6) وثمة أقاليم، كجنوب إفريقيا وبعض جزر المحيط الهادي، التي هي بسبب عزلة شعوبها، أو صغر حجم الإقليم، أو بعده عنمراكز المدينة، أو قربه الجغرافي من إقليم السلطة القائمة بالانتداب، وظروف أخرى، تتيسر إدارتها على أفضل وجه بأن تطبق عليها قوانين السلطة القائمة بالانتداب كأنها أجزاء لا تتجزأ من إقليمها، مع مراعاة الضمانات المذكورة آنفاً لضمان مصالح السكان الوطنيين.

فـ7) في كل حالة من حالات الانتداب، تقدم السلطة القائمة بالانتداب تقريراً سنوياً إلى المجلس عن الإقليم الذي اضطلعت بالمسؤولية عن إدارته.

فـ8) يحدد المجلس تحديداً صريحاً درجة السلطة والرقابة والإدارة التي تباشرها السلطة القائمة بالانتداب، وذلك إذا لم يكن قد سبق الاتفاق عليها بين أعضاء العصبة.

فـ9) تؤلف لجنة دائمة لتلقي التقارير السنوية من السلطات القائمة بالانتداب وفحصها وتقديم المشورة إلى المجلس في كافة المسائل المتعلقة بتطبيق أحكام الانتداب.

ملاحظة: كانت لجنة الانتداب في عصبة الأمم تتألف من تسعة أعضاء من الجنسيات التالية فرنسي – إنجليزي – بلجيكي – ياباني – هولندي – إيطالي – إسباني – برتغالي – سويدي

1- في عام 1945، أنشأت الأمم المتحدة، بموجب أحكام الفصل الثاني عشر من ميثاقها، نظام الوصاية الدولي للإشراف على الأقاليم المشمولة بالوصاية الموضوعة تحت إشرافه من خلال اتفاقات فردية مع الدول القائمة بالإدارة.

وبموجب أحكام المادة 77 من الميثاق، كان نظام الوصاية الدولي ينطبق على الأقاليم التالية:

- الأقاليم المشمولة بانتدابات أنشأتها عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى.
- الأقاليم التي تُقتطع من "الدول الأعداء" نتيجة للحرب العالمية الثانية.
- الأقاليم التي تضعها في الوصاية بمحض اختيارها دول مسؤولة عن إدارتها.

وعملا بالمادة 76 من الميثاق، شملت الأهداف الأساسية لنظام الوصاية الدولي وفقا لمقاصد الأمم المتحدة ما يلي: العمل على ترقية أهالي الأقاليم المشمولة بالوصاية في أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد والتعليم، واطراد تقدمها نحو الحكم الذاتي والاستقلال؛ والتشجيع على احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع وعلى إدراك ما بين شعوب العالم من تقيد بعضهم بالبعض.

ومن أجل الإشراف على إدارة الأقاليم المشمولة بالوصاية، وضمان أن تتخذ الحكومات المسؤولة عن إدارتها خطوات كافية لإعدادها لتحقيق أهداف الميثاق، أنشأت الأمم المتحدة مجلس الوصاية وفق أحكام الفصل الثالث عشر من الميثاق.

وأذن الميثاق لمجلس الوصاية بدراسة ومناقشة التقارير التي ترفعها السلطة القائمة بالإدارة (كما جاء في المادة 87 من الميثاق) عن التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتعليمي لأهالي الأقاليم المشمولة بالوصاية؛ وفحص العرائض المقدمة من الأقاليم؛ والاضطلاع ببعثات خاصة إلى الأقاليم.

وفي السنوات الأولى للأمم المتحدة، وُضع 11 إقليما تحت إشراف نظام الوصاية الدولي، وأصبحت جميع الأقاليم الـ11 دولا مستقلة أو انضمت طوعا إلى بلدان مستقلة مجاورة. وفي عام 1993، كان آخر إقليم مشمول بالوصاية يقوم بذلك هو إقليم جزر المحيط الهادي (بالاو) الذي كان خاضعا لإدارة الولايات المتحدة. وأنهى مجلس الأمن اتفاق الأمم المتحدة الخاص بالوصاية على الإقليم في عام 1994، بعد أن اختار الارتباط الحر مع الولايات المتحدة في استفتاء شعبي نُظم في عام 1993. وأصبحت بالاو دولة مستقلة في عام 1994، فانضمت إلى الأمم المتحدة باعتبارها الدولة العضو 185. وبما أنه لم تكن هناك أقاليم متبقية في جدول أعمال مجلس الوصاية، فقد علق عملياته في 1 تشرين الثاني/نوفمبر من العام نفسه. واليوم، لا يزال مجلس الوصاية موجودا باعتباره أحد أجهزة الأمم المتحدة، ويجتمع كلما وحيثما اقتضت الحال ذلك. أنظر:

https://www.un.org/dppa/decolonization/ar/history/international-trusteeship-system-and-trust-territories#

المحور الثاني

الحركة الاستعمارية

في إفريقيا

I- الاستعمار الفرنسي في إفريقيا

مقدمة:

تعد فرنسا من الدول السباقة إلى الاستعمار في الفترة الحديثة إلى جانب إسبانيا والبرتغال وبريطانيا، وكانت قد شكلت امبراطورية بداية من حركة الكشوفات الجغرافية، والتي امتدت في أجزاء واسعة من قارة أمريكا الشمالية، وذلك إلى تمجيد ملكها لويس الرابع عشر بإطلاع اسم لويزيانا على تلك الأقاليم، وكذا سيطرتها على وبعض المراكز الغنية في الهند وغرب إفريقيا، لكن تلك الامبراطورية فقدتها بسبب الحروب الأوروبية مثل حرب السبع سنين التي انتهت سنة 1763، ثم المشاكل الداخلية التي عاشتها فرنسا مابين 1789 و1814، المرحلى التي كانت حاسمة في تراجع المجد الاستعماري الفرنسي. فكيف عملت فرنسا لتجديد مجدها التوسعي في العالم وما هي المناطق التي تعرضت لسيطرتها؟

1-الجزائر بوابة لغزو إفريقيا- بين الطموح والواقع:

سعت فرنسا للحصول على مركز لها في الضفة الجنوبية للمتوسط بمحاولة السيطرة على مصر سنة 1798، لكن بسبب الموقف البريطاني المعارض لذلك، والذي رأى ذلك تهديدا لمصالحه في الهند، اضطرت فرنسا للانسحاب من أرض الفراعنة (الصدام الفرنسي-البريطاني في موقع أبي قير بمصر1798)[1]، وبدأ التفكير في السيطرة على قلعة الجزائر التي كانت محل خصومة مع جميع الأمم الأوروبية بسبب عمل القرصنة، وأنّ الساحل الجزائري هو الأقرب إلى الساحل الفرنسي وبعيد عن إثارة شكوك بقية الأوروبيين خاصة الانجليز منهم، إضافة إلى اعتبار "الساحل الجزائري أسهل طريق للعبور إلى إفريقية"[2].

1- **عادل محمد حسين عليان وخالد سعود كاظم**، " الاستعمار البريطاني -الفرنسي لشرق إفريقيا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين"، مجلة جامعة تكريت للعلوم العدد 4، المجلد 19، (العراق 2012)، ص 364.

2- **أحمد رمزي**، الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقية، (المطبعة النموذجية، القاهرة،1948)، ص 32.

سبب الغزو كان "حادثة المروحة"، التي تبعها حصار لمدينة الجزائر من 1827 إلى الحملة الفرنسية على المدينة في ربيع 1830، التي انتهت بسقوط المحروسة يوم 5 جويلية، لكن أسباب الاحتلال الحقيقية هي:

- الشعور بالمرارة بفقدان الامبرطورية الاستعمارية الأولى في أمريكا والهند، وكذا فشل الحملة على مصر.
- السعي لجعل الجزائر سوقا تجارية فرنسية إذ تزودها الجزائر بالمواد الخام، كما تشكل سوقا لتصريف انتاجها.
- اسكات المعارضة السياسية الفرنسية أمام فشل حكومة بولونياك وشارل العاشر في الاصلاحات[1].

2- العراقيل التي واجهت التوسعات الفرنسية في إفريقيا انطلاقا من الجزائر:

احتلال مدينة الجزائر، ومهما كانت اسباب ذلك، فقد واجه الشعب الجزائري التوسعات الفرنسية بمقاومات عديدة متنوعة في وسائلها وتنظيمها وقيادتها، التي كانت سياسية وعسكرية، رسمية وشعبية، على غرار المقاومة السياسية التي قادها أعيان مدينة الجزائر منهم عمر بوضربة وحمدان بن عثمان خوجة، ثم المقاومات العسكرية الشعبية بداية من ثورة بن زعموم بمتيجة مرورا بمقاومة الأمير عبد القادر، أحمد باي، الزعاطشة، فاطمة نسومر والشريف بوبغلة إلى مقاومة المقراني سنة 1871.

تلك الفترة (1830-1870) التي تعثر فيها المشروع الفرنسي في إفريقيا انطلاقا من الجزائر لأسباب مرتبطة بالمقاومة الجزائرية، وكذا مشاكل فرنسا في القارة الأوروبية، وبصفة خاصة مع ألمانيا، إضافة إلى التنافس الأوروبي حول المستعمرات، الشيء الذي جعل هذه المرحلة لا تعرف توسعات لفرنسا في القارة الافريقية (ما عدا السنيغال) عبر الصحراء الكبرى أو من خلال تونس والمغرب الاقصى.

3- مؤتمر برلين وتقسيم القارة الافريقية:

1- **يحي بوعزيز**، "الاستعمار الحديث في إفريقيا"، مجلة المؤرخ العربي 31، (الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1987)، ص 23.

عندما تأزمت الأمور بين الدول الأوروبية حول التوسع في إفريقيا، وكاد ذلك أن يؤدي إلى اشتعال حروب بسبب ما قامت به فرنسا في تونس (إعلان الحماية عليها سنة 1881)، وما فعلته بريطانيا بمصر (اعلان الحماية 1882)، وبداية ما وصفه المؤرخ زاهر رياض، بوخز الإبر بعد سعي فرنسا عقد اتفاقيات مع زعماء الافريقيين في غرب إفريقيا عبر القنصل الذي عينته هناك، نادت بريطانيا بدورها التجار الانجليز في المنطقة إلى جمع أعمالهم في شركة متحدة كبيرة، وفعلا تم تأسيس الشركة النيجر الافريقية، التي ترأسها المستر جو، الذي كان له دور في تأسيس الامبراطورية البريطانية، هذا الأخير، اقترح على بريطانيا التفاوض مع فرنسا من أجل الحصول على حوض النيجر الادنى، مقابل السماح لفرنسا بحرية النشاط في نهر السينغال والنيجر الأعلى، لكن السلطات الفرنسية لم تسرع بردها الشيء الذي جعل الانجليز يرحبون بالاقتراح الألماني للنظر في تقسيم القارة الافريقية[1].

بدأ المؤتمرون اجتماعهم يوم 15 نوفمبر 1884 واستمر إلى غاية فيفري 1885، في العاصمة الألمانية برلين، حضره مندوبي كل من: ألمانيا، بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية، بلجيكا، السويد، الدانمارك، النمسا، اسبانيا، البرتغال، ايطاليا، روسيا وتركيا. وبعد ان قدم جل الحاضرين احترام قرارات المؤتمر (عدا الو.م.أ)[2]، نص المؤتمر على:

1- ألا تعلن أية دولة حمايتها على أية منطقة إلا بعد أن تطلع باقي الدول الاخرى على ذلك.

2- لا تقوم اي دولة بضم أية منطقة إلا إذا كان ذلك مؤيدا باحتلال فعلي لها.

3- أن تكون الملاحة والتجارة حرة في نهري الكونغو والنيجر وما جاورهما.

4- توزع مناطق النفوذ في القارة الافريقية على النحو الآتي:

*منطقة النفوذ الفرنسي: شمال إفريقيا، إفريقيا الغربية والاستيوائية.

* منطقة النفوذ الانجليزي: جنوب إفريقيا، شرقها وشمالها الشرقي، أما في غرب إفريقيا لها: سيراليون، غامبيا، ساحل الذهب، وعلى خليج غينيا لها نيجيريا.

1- **زاهر رياض**، المرجع السابق، ص 133، 134.

2- المرجع نفسه.

* منطقة النفوذ البلجيكي: حوض الكونغو الغني بأكمله.

* منطقة النفوذ الالماني: الطوغو، الكاميرون، جنوب غرب إفريقيا (ناميبيا)، وطانجانيقا وزنجبار (اللتان تحولتا إلى تنزانيا) في شرق القارة.

* لم تحدد مناطق نفوذ اسبانيا والبرتغال لأنهما تمتلكان مستعمرات فيها منذ الحركة الاستعمارية القديمة[1].

جـ- المستعمرات الفرنسية في إفريقيا 1881-1914:

سقطت الكثير من البلدان الافريقية الواحدة تلوى الأخرى، فيما يعرف بمرحلة اشتداد التنافس بين قوى أوروبا حول المستعمرات في أسيا، وإفريقيا خاصة، وذلك في الفترة الممتدة بين 1881 و1914، وذلك على النحو الآتي:

البلد الاستعماري	المنطقة أو البلد الافريقي	نوعية الاستعمار وسنة الاحتلال
فرنسا	الجزائر	غزو عسكري (1830)
	تونس والمغرب	حملات عسكرية واعلان الحماية (1881،1912)
	غرب إفريقيا	توغلت فرنسا في المناطق الداخلية للسينغال منذ 1817، ومنها إلى حوض النيجر الأعلى، فعقدت اتفاقيات مع زعماء المنطقة، بانعقاد مؤتمر برلين أعلنت فرنسا حمايتها على: السودان الفرنسي (مالي حاليا، 1887)، غينيا وساحل العاج 1893، الداهومي 1894، النيجر 1897.
فرنسا	افريقيا الاستيوائية	المستكشف سافورنيان دي برازا الايطالي الأصل استكشف شمال الكونغو لصالح فرنسا ما بين 1877-1878، بعد مؤتمر برلين، أعلنت فرنسا حمايتها على: الغابون، الكونغو الفرنسي، افريقيا الوسطى والتشاد

1- **يحي بوعزيز**، المرجع السابق، ص 21.

فرنسا	في شرق افريقيا	الصومال 1884، جيبوتي 1888، مدغشقر امتد اليها النفوذ سنة 1683 وأصبحت مستعمرة رسميا سنة 1868[1].

الخاتمة:

- امتد النفوذ الفرنسي إلى إفريقيا منذ فترة الكشوفات الجغرافية، لكنه اشتد في القرنين 19 و20، وبصفة خاصة ما بين 1870-1914، فأسس الفرنسيون امبراطورية استعمارية يفتخرون بها، أطلقوا عليها "امبراطورية مائة مليون نسمة"، وأحيانا "امبراطورية فرنسا الممتدة في بقاع الأرض الخمسة"، وفي حالات أخرى أطلقوا عليها "فرنسا العظمى" (La plus grande France)الشعار الذي رفع بمناسبة مائة سنة على احتلال فرنسا للجزائر، من خلال المعرض الكولونيالي بباريس سنة 1930.
- السيطرة كانت بالغزو العسكري والاتفاقيات والمعاهدات التي تحولت إلى فرض الحماية.
- تميز الاستعمار الفرنسي في القارة بالقمع والتقتيل والتشريد، الفقر والجهل وانتشار الأوبئة في اوساط أبناء إفريقيا.
- استغلال الثروات الطبيعية والبشرية إلى حد ممارسة تجارة الرقيق.

1- نفسه، ص22-27

II-الاستعمار الانجليزي في إفريقيا.

مقدمة:

الاستعمار في التقاليد البريطانية ظل في تنامي منذ بداية القرن السابع عشر، وفي القرن الثامن عشر كانت هذه الدولة الأوروبية قد أسست "الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس"، وأصبحت سيدة البحار والمحيطات، باستيلائها على أجزاء واسعة من أمريكا الشمالية والهند وجزر عديدة. فما هو واقع وامتداد الاستعمار الانجليزي في القارة الافريقية؟

1-بدايات التوغل الانجليزي في إفريقيا:

في سنة 1795 سيطر الانجليز على مستعمرة الرأس في جنوب إفريقيا، التي كانت في يد الهولنديين الذين طردوا منها نحو المناطق الداخلية، ومنها بدأت بريطانيا في مد نفوذها نحو أجزاء واسعة من القارة الافريقية، خاصة وأنّها تشكل المعبر الاجباري نحو الهند بالدوران حولها، الشيء الذي جعل لندن تمارس ضغوطات على أمستردام بعد مؤتمر فيينا، لتتنازل رسميا لانجلترا على مستعمرة الكاب، فأخذ الانجليز بعد ذلك يتوسعون في المنطقة ويشجعون الهجرة البيضاء إليها[1].

لكن مع ذلك ظل الاهتمام الانجليزي بالمناطق الداخلية من القارة الافريقية، وخاصة المدارية منها، ضئيل، وذلك لأسباب طبيعية وبشرية، واستمر ذلك إلى غاية 1880، وما قبلها كان الاهتمام البريطاني مرتبط بالتجارة مع الهند، أمريكا الشمالية، وأستراليا وجنوب إفريقيا، وقد يكون ذلك مرتبط بتطور الأفكار ونمو الوعي لدى الانجليز، بحكم ما أوصله إليهم قادتهم السياسيين الذين ربطوا الاستقرار والنمو بالحرية الاقتصادية وعلى رأسه التجاري وكذلك الحكم الديمقراطي، وأطلق على تلك النخبة مصطلح "الفكتوريين"[2]. تللك الأفكار جعلت البريطاني يأخذ بأهمية النفوذ على التملك السياسي، لذلك أصبح الانجليزي يؤمن بأن العلاقة التجارية الحرة مع الرجل الأبيض في المستوطنات أقوى وأفضل وأقل إضطرابا، هذه الوضعية جعلت السياسيين الانجليز لا يفكرون في ضم أقاليم أخرى إلى امبراطوريتهم[3].

1- **يحي بوعزيز**، المرجع السابق، ص 28.

2- **زاهر رياض**، المرجع السابق، ص 192.

3- نفسه، ص 193.

2-نمو اهتمامات الانجليز لاستعمار إفريقيا:

في الخمسينيات من القرن التاع عشر (1851-1856)، استكشف دافيد ليفينغستون، الرحالة الاسكتلندي، نهر الزمبيز وما جاوره، حتى وصل سنة 1855 إلى ما وصف بأعجب الشلالات في العالم، والتي اطلق عليها اسم فكتوريا، تمجيدا لملكة بريطانيا آنذاك، ونظرا لما تزخر به المنطقة من ثروات وموقع هام ومميز في تضاريسه وتكوينه الجيولوجين فقد أظهر ليفينغستون، الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لشرق إفريقيا المطل على المحيط الهندي بالنسبة لبريطانيا، التي عينته قنصلا عاما لحوض للزمبيز سنة 1858[1].

بذلك اهتم الانجليز بهذه المنطقة الواسعة من إفريقيا المطلة على المحيط الهندي، ونظرا لارتباطها بالمصالح الاقتصادية لبريطانيا في الهند، وجغرافيا بحوض النيل ومصر، المجال الأخر الذي كان من أكبر اهتمامات الانجليز في القارة السمراء، فكر منظري الاستعمار البريطاني في السيطرة على كامل شرق إفريقيا من أقصى شمالها الشرقي عند الاسكندرية، إلى مدينة الكاب في رأس الرجاء الصالح، و الوقوف أمام المشروع البرتغالي بوصل مستعمرة الموزمبيق بأنغولا وخنق بريطانيا وعزلها في مستعمرة الرأس[2]. بعد ذلك عرفت بريطانيا نفس المنافسة من ألمانيا وفرنسا في إقليم البحيرات وشرق إفريقيا عموما، وتمت تسوية تلك الخلافات بمبدأ التراضي وخلق لجان مشتركة سنة 1886 لتسوية تلك النزاعات بين هذه البلدان الأوروبية كمايلي:

"...تُترك كل من جزر زنجبار، وبمبا، والشريط الساحلي لطنجانيقا المواجه لهما على طول 300 ميلا، وعرض عشرة أميال لسلطان زنجبار، وتقسم المناطق الداخلية لطنجانيقا إلى قسمين: شمالي تحتله بريطانيا، وجنوبي تحتله ألمانيا، على أن تُطلق يد فرنسا في مدغشقر..."[3]

3-المستعمرات البريطانية في القارة الافريقية:

المنطقة	المستعمرة	طريقة وسنة الاحتلال

1- **عادل محمد حسين عليان وخالد سعود كاظم**، المرجع السابق، ص361.

2- عن تفاصيل التوسع الانجليزي في جنوب إفريقيا، ودور سيسل رودس والشركة البريطانية لجنوب إفريقيا، وحرب البوير، أنظر: **زاهر رياض**، المرجع السابق، ص 196- 205

3- **يحي بوعزيز**، المرجع السابق، ص31.

شمال شرق	مصر	باعلان الحماية بعد أزمة مالية (1882)
غرب إفريقيا	غامبيا، ساحل الذهب، سيراليون نيجيريا	كانت مراكز ساحلية لتجارة الرق وغير ذلك منذ القرن 17، ثم تأسست الشركة الملكية الافريقية للنشاط في هذه الاقاليم سنة 1723، ثت تحولت إلى مناطق نفوذ بريطانية خالصة وفق نص معاهدة فرساي عام 1883، الشيء الذي فتح المجال لعقد اتفاقيات ومعاهدات مع الشيوخ والأمراء المحليين،ثم اعلنت الحماية على ساحل الذهب (1874)، غامبيا (1893)، وضع نيجيريا كمحمية تحت حكومة التاج البريطاني (1899)[1].
شرق إفريقيا	الصومال البريطاني،أوغندا وكينيا، السودان الانجليزي ش المصري،	احتلال الصومال بتعاون قوات مصرية بريطاني 1884، أوغندا وكينيا 1894، السودان (1899- اتفاقية حكم ثنائي، مصري بريطاني
جنوب القارة	مستعمرة الرأس والتوسع انطلاقا منها	انتزاعها من هولندا رسميا(1814) ففر البوير الهولنديين إلى إقليمي الناتال وأورانج وأسسوا جمهوريتين، اكتشاف الذهب سنة 1882 في ترانسفال، ضم الانجليزي سيسل رودس، حاكم الكاب، الجمهوريتين بالقوة سنة 1889، والناتال في 1898، كما توسع عسكريا في الشمال حتى وصل بحيرة نياسا، وضم كل تلك المناطق التي أطلق

1- **زاهر رياض**، المرجع السابق، ص 208-215.

		عليها روديسيا تكريما لنفسه، وهي تمثل اليوم كل من زمبابوي و زامبيا[1].

4-بقية الاستعمار الأوروبي في إفريقيا:

الاسباني: تراجعت مكانته خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ولم يبقى للعرش الاسباني سوى مستعمرات محدودة المساحة في القارة الافريقية وذلك لأسباب تاريخية وسياسية،وتلك المستعمرات هي:

سبتة ومليلة: لا تزال إلى اليوم تحت السيادة الاسبانية، وقد وقعت المدينة الاولى في يد البرتغاليين سنة 1415، وبسبب ضم اسبانيا للمملكة البرتغالية سنة 1580، أصبحت سبتة جزء من المستعمرات الاسبانية.أما مليلية فقد احتلها الاسبان أثناء هجوماتهم على سواحل شمال إفريقيا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

جزر الكناري:

الصحراء الغربية: توسعت فيها خلال القرن التاسع عشر، ويطلق على المنطقة "الساقية الحمراء وواد الذهب"، أو إقليم طرفاية، كان تحت حاكم عام عسكري مقره في ايفني بجنوب المغرب الأقصى، خرجت منها اسبانيا سنة 1975[2].

غينيا الاستيوائية:

البرتغالي: كان أوفر حضا مقارنة بغريمه في شبه الجزيرة الايبيرية، فشمل أنغولا، الموزمبيق، وظل التواجد البرتغالي هناك مقتصرا على المراكو الساحلية لممارسة تجارة الرق وغيرها، ومن تلك المراكز، لواندا، بنجويلا وكابندا. لكن النصف القاني من القرن 19، ولما اشتد التنافس والتوغل نحو المناطق الداخلية، حتى سيطرت على انجولا التي نعرفها اليوم بحدودها، وقد اعترف لها مؤتمر برلين 1885 بحق السيطرة عليها. وهو نفس الوضع عرفه الموزمبيق.[3]

1- **يحي بوعزيز**، المرجع السابق، ص 28-29

2- **يحي بوعزيز**، المرجع السابق، ص 33.

3- نفسه، ص 32.

الألماني والايطالي: دخلا الميدان الاستعماري متأخرين بسبب أوضاعهما السياسية الداخلية، فكان لالمانيا تنزانيا في شرق إفريقيا وناميبيا في جنوب غربها والكاميرون في وسطها. أما الايطاليين سيطروا جزء من الصومال، وليبيا سنة 1911. لكن مستجدات الحرب العالمية الأولى ثم الثانية وضعت مستعمرات الدولتين تحت نظامي الانتداب ثم الوصايا بعد 1945.

الخاتمة:

عانت القارة الافريقية منذ نهاية القرن الخامس عشر من الهجمة الاستعمارية الاوروبية العنصرية، إن استمر الوضع إلى غاية النصف الأول من القرن 19 على المناطق الساحلية، فإنّ التغيرات الاقتصادية والسياسية والفكرية التي عرفتها أوروبا خلال هذا القرن، جعلت القارة تتعرض لاستعمار شكامل لكل أراضيها ما بين 1870–1914.

خلال تلك المدة الطويلة عانت الشعوب الافريقية التمزق وفق أهواء السياسيين والمستكشفين والمبشرين الاوروبيين، الامر الذي أدى الفقر، الجهل والأوبئة بسبب السياسة الاستغلالية لموارد إفريقيا من معادن وثروات زراعية، فظهرت بلدان تحت مصطلحات ساحل الذهب، ساحل العاج، محمية الزيت (نيجيريا)... دون الحديث عن تجارة الرق لمدة قاربت أربع مائة سنة، والتقتيل والتشريد في مواجهات سعى فيها الأفارقة الدفاع عن شرفهم وكرامتهم وحريتهم.

المستعمرات الأوروبية في قارة أفريقيا
عام ١٩٠٠، وتواريخ الحصول عليها.

المحور الثالث:

الحركة الاستعمارية في أسيا

الحركة الاستعمارية في أسيا

أ- الاستعمار البريطاني في الهند

مقدمة:

إنّ دراستنا هذه لا تقتصر على ما يطلق عليه اليوم جمهورية الهند، لأن الاستعمار البريطاني شكل امبراطورية واسعة في جنوب قارة أسيا، وأطلق عليها "امبراطورية الهند"، و تمتد حاليا من دولة تايلندا شرقا إلى إيران غربا، ومن الحدود الصينية الهندية في جبال الهيمالايا شمالا، إلى المحيط الهندي جنوبا، وهذه المنطقة المعروفة بشبه القارة الهندية، تشمل في يومنا هذا، النهد الحالية، باكستان وبنغلاديش. أما أصل التسمية فهو مرتبط بالاندوس، ويقصد به نهر السند، الذي اشتقت منه كلمة "اند" و"هند"، أي الأرض الواقعة ما وراء نهر الاندوس، الذي جعل سكان هذا الاقليم يحملون اسم "الهنود" أو "الاندو" في اللغات الأوروبية، وإذا كانت الدراسات تجمع على المصدر الاشتقاقي لهذا الاسم من هذا النهر، فإن المؤرخ وعالم الاجتماع الفرنسي، غوستاف لوبون (Gustave Le Bon)[1] يرجعه إلى "إندرا" الاله القديم في الحضارة الهندية[2].

1- (1841-1931)، عالم اجتماع وطبيب ومؤرخ فرنسي، له دراسات ومؤلفات هامة، منها: حضارات الهند.

2 - **Gustave Le Bon**, Les civilisations de l'Inde, (Ed., Librairie de Fermin Didot et C^ie^, Paris, 1887), pp 1-4

1-صورة الهند لدى الأوروبيين قبل رحلة فاسكو دي غاما:

لقد كانت الهند في المخيلة الأوروبية تمثل البلاد البعيدة والعجيبة، الجميلة والرائعة، الواسعة والغنية، أرض الثراء والخصوبة والتنوع، وذلك بناء على الارث المعرفي الذي وصلهم منذ عهد الحضارتين الاغريقية والرومانية اللتان كانتا في اتصال حضاري مع الهند،[1] لكن في فترة العصر الوسيط، ظهرت حضارة الاسلام القوية، التي قطعت الاتصال التجاري المباشر خاصة، ما بين الهند والقارة الأوروبية، الشيء الذي تولد عنه البحث عن طريق جديدة للوصول إلى أسيا عن طريق المحيط الأطلسي، ومن ذلك، ربط اتصال مباشر بالبلاد الهندية ومنها إلى أسيا ككل، موطن التوابل والبهارات والنسيج والأحجار الكريمة وغيرها من المنتوجات[2].

بعدما جسّد البرتغالي فاسكو دي غاما أول رحلة بحرية مباشرة بين أوروبا وبلاد الهند (1498 وصل إلى كاليكوت على الساحل الغربي)، تسارعت الدول إلى الأوروبية وتنافست لأخذ نصيب لها من هذه التجارة وبصفة خاصة فرنسا ثم هولندا وبريطانيا، لكن في الأخير سيطر الانجليز على هذا الاقليم بفضل شركة الهند الشرقية[3].

2-شركة الهند الشرقية البريطانية(East India Company – EIC) ودورها في الاحتلال:

تأسست في سنة 1600، من طرف بعض التجار وملاك السفن بلندن، ومنحت الملكة اليزابيت الأولى ميثاقا سياسيا يحمي الشركة الوليدة وكرمها باحتكار تجارة الهند، والذي يعد امتيازا هاما، ما جعل الشركة تتمتع بالصفة الفردية نظرا لمؤسيسيها وصفة "العمومية" بسبب الرعاية التي لاقتها الملكة. في أفريل 1601 انطلقت أول رحلة بحرية مباشرة بين الجزر البريطانية وشبه القارة الهندية في جنوب أسيا،

---

[1] – **Gustave Le Bon**, op. cit., pp 1-4

2 -**Marcel Trudel**, « L'Europe en quête de l'Asie (1492-1524) ». Cahiers de géographie du Québec 3, (1959), pp. 85–94.

[https://doi.org/10.7202/020167ar]

3- **محمود شاكر**، التاريخ الاسلامي-19- التاريخ المعاصر ؛ القارة الهندية1964-1991، (منشورات المكتب الاسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1997)، ص.26-27.

ثم تتابع ذلك في السنوات الموالية، إلا أنّ تفوق الهولنديين بشركتهم، جعل الانجليز يعيدون النظر في تمويل مؤسستهم وتقويتها سنة 1708.[1]

الميثاق الأول، والذي كان سياسيا، جعل الشركة تحصل على أراضي من الحكومة، كما منحها الحق على رفع العلم الانجليزي ثم البريطاني على منشآتها البرية والبحرية، أما الاصلاح الثاني الذي مس رأسمالها أساسا، بفتحها أمام الراغبين في الانضمام إليها من التجار وأصحاب السفن خارج مدينة لندن، جعلها تتحول في فترة وجيزة إلى شركة عملاقة، فخرجت من بياناتها التأسيسية، التي نصت على احتكار التجارة مع الشعوب غير المسيحية، واصدار الأحكام المدنية والجنائية، إلى حق صك النقود سنة 1677.[2]

في الهند اهتمت الانجليز بالمحيط الذي سيطروا عليه أولا، وهي المدن الساحلية (مدراس وبومباي)، في حين كانت بونديشيري وإقليمها تحت نفوذ نشاط التجار الفرنسيين (الذين فقدوا ممتلكاتهم في النهد تحت الضغط والتهديد الانجليزي بعد حرب السبع سنين التي انهزموا فيها في اوروبا ما بين 1756-1763)، الزمن الذي سيطرت فيه الشركة البريطانية للهند الشرقية على إقليم البنغال، والتغلب على أخر سلطان محلي سراج الدولة الذي سلّم "الديوان" (إدارته) للشركة البريطانية، ليستمر الاحتكار المطلق والاحتلال البريطاني بواسطة "شركة الهند الشرقية البريطانية" التي تؤسس نظام تسيير جديد للهند سنة

1-**Haudrère Philippe**, « Jalons pour une histoire des compagnies des Indes », Revue française d'histoire d'outre-mer N° 290, tome 78, (premier trimestre, 1991), pp. 09-12

2- Ibid.

1765، أطلق عليه "حكومة الشركة[1](Compagny Rule)، وذلك إلى غاية حلها سنة 1858، بعد ثورة السبايس، وبذلك تظل هذه الشركة أكبر شركة معمرة في الميدان الاستعماري بمدة 258سنة[2].

3-الهند مستعمرة بريطانية بصفة رسمية:

التنافس الاستعماري الذي زادت حدته فيما بين الدول الأوروبية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وبصفة خاصة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائرسنة 1830، جعل الانجليز يخططون لفرض سيطرتهم الرسمية على الهند، وإعلانها مجالا للنفوذ الانجليزي بلا منازع، إذ قامت بضمها إلى التاج البريطاني في عهد الملكة فكتوريا، ووضعت البلاد الهندية تحت سلطة حاكم تعينه الحكومة في لندن، وأطلق على هذا المسؤول "وزير الهند" ونائب الملك، وأول من تقلد هذا المنصب اللورد شارلز جون كانينج[3]، ومما جاء في كلمة الملكة الانجليزية في رسالتها إلى سكان الهند نقرأ: *"...ندعو جميع رعايانا في داخل حدود هذه الأراضي أن يكونوا مخلصين موالين حق الموالاة لنا ولورثتنا وحلفائنا، وأن يقدموا خضوعهم إلى سلطة الذين سنقوم بتعيينهم بعد، من آن إلى آخر... ومن اجل هذا قد عينا شارلس جون فيكونت كانينج أول وال وأول حاكم عام على أراضينا، ولكي يدير شئون حكومتنا باسمنا وليعمل باسمنا ولمصلحتنا وفقً ا للأوامر والقواعد التي سيتلقاها من وقت إلى آخر منا عن طريق وزرائنا..."*[4]

على ضوء هذه الرسالة الاولى التي وجهتها الملكة فكتوريا إلى سكان البلاد الهندية استمرت السياسة البريطانية فيها، إذ اهتم الانجليز بمصالحهم الاقتصادية والسياسية على حساب الهنود، وما يؤسف له أنّ ذلك وقع بتحالف الأمراء المحليين مع الاستعماريين الانجليز، ما أنشأ نوعا من النظام أطلق عليه الباحثون "الاستبداد العسكري"،

1-**Guillemette Crouzet**, « Indes : apogée et déclin d'un empire au sein de l'Empire britannique », https://ehne.fr/ , En ligne :

[URL source: https://ehne.fr/article/leurope-les-europeens-et-le-monde/linde-et-leurope/les-indes-apogee-et-declin-dun-empire-au-se in-de-lempire-britannique]

2- **Haudrère Philippe**, Op. cit., pp.12-26

3- **عبد الله حسين**، المسألة الهندية، (كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013)، ص.133

4- المرجع نفسه، ص.134

تلك السياسات القمعية جعلت المجتمع يعيش الجهل والفقر، وتنتشر فيه المجاعات المتكررة[1]، سبب الاهتمام بالزراعة التجارية الموجه انتاجها إلى أوروبا، من تلك المحاصيل نجد الشاي، القطن، الفول السوداني، المطاط، التواب والقنب والأرز[2].

4-من حكومة الشركة إلى إمبراطورية الهند:

كانت ثورة السبايس عبارة عن انتفاضة للسياسة القمعية التي رفضها المجتمع الهندي، وقد امتدت لمدة عام كامل (1857-1858)، وبمجرد القضاء عليها بالقوة الرادعة من طرف الانجليز، أعلنت لندن عن الغاء شركة الهند الشرقية، وكان ذلك اعلان صريح عن إرادة الاحتفاظ بامبراطورية الهند، والقضاء على الرغبة في التحرر[3]، وعن ذلك فقد كتب الانجليزي ريتشارد تومبل (Richard Temple)، الموظف الاداري بالهند، والذي تقلد مناصب هامة فيها، أهمها المكلف بالشؤون الخارجية للامبراطورية في عهد نائب الملك جون لورانس((John Lawrence (1864-1869)، معبرا عن الشعور بالقلق الذي انتاب

1- كانت شيئا مرعبا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وأمرا فضيعا أن تعين فكتوريا، ملكة انجلترا، امبرطورة على الهند في الوقت الذي فقدت فيه جنوب هذه البلاد أربعة ملايين نسمة بسبب الجوع ما بين 1876-1878، وعن هذه الحالة، أنظر:

Marc Ferro et al., Le livre noir de colonialisme ; XVI^{e}-XXI^{e} siècle : de l'extermination à la repentance, t.1, (Ed., Dar el Kitab el Arabi, Alger, 2014), pp. 313-322

2- حوالي ستون مليون هندي سقطوا ضحايا المجاعات المتكررة جراء السياسة الاستعمارية البريطانية في الهند، منها مجاعة بلاد البنغال سنة 1877، ومجاعة 1943 التي يعيدها المتخصصون في دراسات علم الاجتماع والتاريخ غلى سياسة رئيس وزراء بريطانيا أنذاك وانستون تشرتشل.

أنظر مثلا الموقع:

https://solidariteetprogres.fr/grande-famine-bengale-genocide-britannique.html, consulté le 20 juin 2020.

3- عن الثورة وموقف السلطات البريطانية منها، أنظر:

عبد الله حسين، المرجع السابق، ص. 134، 135.

السلطات الاستعمارية، وبخاصة التخوف من تحالف الحكام المحليين مع الثوار، قائلا: "...*لو ثار أولئك الحكام المحليين بدورهم، فإنّ نيران الثورة ستمتد إلى مقاطعات عديدة ومنها إلى الهند كلها*..."[1]

تلك الأحداث، من ثورة السبايس، وإلغاء الشركة البريطانية للهند الشرقية، وتعيين حاكم عام بصفة وزير الهند ونائب الملك، جعلت السلطات الاستعمارية البريطانية، تبحث عن واقع وسياسة جديدين يضمنان استمرار استعمار واستغلال الهند، فتم القيام بخطوة أخرى، بتتويج الملكة فكتوريا (1819-1901)، يوم 1 جانفي 1877، بلقب "امبراطورة الهند" خلال احتفال سياسي كبير (دوربار في التعبير المحلي) في مدينة دلهي ، حضره الأمراء المحليون والحاكم العام البريطاني[2].

ذلك الاحتفال والتتويج، الذي شكل آخر الترتيبات لضمان السيطرة الانجليزية سياسيا ورسميا في الساحة الدولية، لأن الهند هي جوهرة المستعمرات، فخيراتها الكثيرة والوفيرة تنقلها حوالي عشرة ألاف سفينة سنويا إلى الجزر البريطانية ومنها إلى كامل أوروبا[3]، ومن أجل الزيادة في تجارة الهند وأرباحها اهتمت سلطات الاحتلال في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر أكثر بالمنشآت القاعدية من طرقات وسكك حديدية التي بلغت 20 ألف كيلومتر، وشق القنوات للري الزراعي، التي بلغت تكلفتها واحد وعشرين

1- **Richard Temple**, L'Inde britannique ; type de colonisation moderne, Tra. J. Pène Siefert, (Nouvelle Librairie Parisienne, Paris, 1889), pp. VII, 65.

2- Ibid., p.66

3- **عبد اللطيف الصباغ**، تاريخ أسيا الحديث والمعاصر، (د. س.ن)، ص. 54

https://books-library.online/files/download-pdf-ebooks.org-1543557217Sg3P2.pdf

مليون جنيه استرليني سنة 1883 أي حوالي ثلث ميزانية الهند، في الوقت الذي لم تبلغ فيه في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر سوى 2.53% من نفس الميزانية[1].

أما في داخل البلاد فقد عرف القرار ردود فعل مختلفة في أوساط الهنود، ففي الوقت الذي رحب به الأمراء المحليون، الذين عيّن بعضهم كمستشارين للحاكم العام سنة 1877، شراء لذممهم، ما دفعهم أكثر للخضوع والولاء، فإنّ المواطنين وخاصة النخبة منهم، رفضته تبدأت في ترتيب نفسها للنضال السياسي (تجاوزا لما حصل في قمع ثورة السبايس)[2]، الأمر الذي تولد عنه تأسيس المؤتمر الوطني الهندي وعقده مؤتمره الأول في بومباي سنة 1885[3].

الخاتمة:

-تغلغل الاستعمار البريطاني في الهند عن طريق التجارة بفضل الشركة البريطانية للهند الشرقية.

- تحكم التجار الانجليز بمباركة من ميثاق ملكي منح حق الاحتكار للشركة لمدة 258 عاما.

- من التبادل التجاري في الموانئ في بداية القرن السابع إلى إقامة مراكز التجارة في المدن الموانئ التي تمت السيطرة عليها في منتصف القرن، ثم شراء الأراضي أو السيطرة عليها بالمعاهدات والاتفاقيات مع الحكام المحليين التي حوّلها التجار الأوروبيين إلى مزارع، ومنها قواعد للتوسع في الداخل.

- الاعتماد على العنصر المحلي في السيطرة على المجتمع سياسيا وعسكريا.

- اعتبار الهند جوهرة المستعمرات وضرورة الحفاظ عليها، باعتماد أساليب الالحاق بالتاج البريطاني في النصف الثاني من القرن 19، واعتماد سياسة فرّق تسد لمواجهة الفكر الثوري التحرري بين مختلف الطوائف الهندية وبصفة خاصة بين الهندوس والمسلمين.

- استمرار تلك السياسة إلى غاية استقلال الهند سنة 1947، وتقسيمها إلى دول عدة.

1- **Richard Temple**, op. cit., p.VII

2- Ibid., p. 66

3- **عبد اللطيف الصباغ**، المرجع السابق، ص. 54

ب-لاستعمار الفرنسي في الهند الصينية

مقدمة:

تعرف سابقا بالهند الخارجية بسبب وقوعها ما وراء نهر الغانج، ولم يمنح لها الجغرافيون الاوروبيون أي اسم يميزها بسبب جهل مناطقها الداخلية، ثم أطلق عليها الجغرافي الدانماركي كونراد مالت برون(1775-1826) (Conrad Mlte-Brun) مصطلح الهند الصينية سنة 1804[1].

تقع شبه جزيرة الهند الصينية في جنوب شرق أسيا، ويحتمل اطلاق هذا الاسم على هذا الجزء من العالم لسبب انحصاره بين الهند من الغرب والصين من الشمال، في الوقت الذي يحدها بحر الصين الجنوبي من الشرق وخليج البنغال من الجنوب الغربي وخليج ملاكا من الجنوب. وعليه فمن الناحية الجغرافية والحضارية، فهي إقليم واسع، يشمل دول عديدة مثل مينمار (برمانيا)، تايلندا، ماليزيا وغيرها.

أما من الناحية التاريخية والسياسية، فيقصد بالهند الصينية، الاتحاد الذي شكلته فرنسا سنة 1887، بجمع مستعمرات اللاووس وكامبوديا وما اطلق عليه الفيتنام الذي أصبح رمزا ومرادفا لهذا المصطلح. فماهي العوامل والتطورات التي عرفتها المنطقة في ظل توسعات الاستعمار الفرنسي في جنوب شرق أسيا؟

1-أوضاع الهند الصينية قبل الاحتلال الفرنسي:

عرفت المنطقة بناء حضاريا تاريخيا منذ القدم كغيرها من مناطق العالم، إلا أنّ في فترة القرن العاشر الميلادي شهدت هذه المنطقة توافد قبائل الخُمِرْ من جنوب الصين ، والتي تزاوجت مع أبناء التجار الهنود، وبصفة خاصة في وسط شبه الجزيرة الممتدة اليوم من تايلندا غربا إلى سواحل الفيتنام الوسطي

1- **Daniel Hémery**, « Inconstante Indochine… L'invention et les dérives d'une catégorie Géographique», Revue française d'histoire d'outre mer n°326-327, tome 87, (1er semestre 2000, France), p. 138, 144.

شرقا، متأثرة بذلك، ومعتنقة الديانة الهندوسية، مخلدة ذلك في معابد كبيرة وعجيبة مازالت أثارها وسحرها يجلب الزوار إلى اليوم[1].

الهند الصينية عرفت عدة ممالك وامارات محلية، التي دخلت في صراع فيما بينها لمدة تجاوزت أربعة قرون من الزمن (1431-1864)، وكان مركزها وسط شبه الجزيرة، أو ما يعرف بكمبوديا حاليا، التي تحملت هجومات جيرانها من الشرق (الفيتنام)، وكذا من الغرب (تايلندا)، واستمر ذلك إلى غاية تنامي النفوذ الأوروبي في المنطقة، وعلى رأس هؤلاء الفرنسيين والانجليز، اللذين دعما سلطانا على حساب آخر حماية لمصالحهما، فسيطر الانجليز على البورما، في الوقت الذي ظلت أغلب أراضي الهند الصينية منطقة للتوسعات والنفوذ الفرنسي، فسقطت في يد باريس كل من كمبوديا، واللاووس والكوشينشين والأنام والتونكين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر[2].

2-الغزو الفرنسي للهند الصينية:

الغزو الفرنسي للهند الصينية مرتبط بنشاط المبشرين المسيحيين الكاثوليك، وذلك منذ القرن السادس عشر، إذ يعد التجار البرتغاليون أول من وصل إلى هذه البلاد، فتبعم الهولنديون بحثا عن التوابل وغيرها من خيرات أسيا، ثم تبعهم إلى المنطقة مبشرين برتغاليين وفرنسيين[3]، الذي اشتد نشاطهم في البلاد خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر أولا، وبصفة شملت الممالك الثلاثة (التونكين، الآنام، الكوشينشين)، الأمر الذي واجهته الحكومات المحلية بالقوة وردع القساوسة الأوروبيين بالقتل أحيانا والسجن أحيانا أخرى، ونفس المصير لقيه بعض الأتباع والمؤمنين من أبناء البلاد، وذلك ما تذكره حتى كتابات الكنيسة نفسها، ومما ورد في هذا المجال، أنّه "...*في سنة 1721، تجددت عملية الاضطهاد بأكثر شدة. هناك*

1- **فايز صالح أبو جابر**، الاستعمار في جنوب شرق أسيا، (دار البشير للنشر، ط.1، عمان- الأردن، 1990)، ص.

2- المرجع نفسه، ص. 79-82

3-**Simon Pierre-Jean**, « L'Indochine française : bref aperçu de son histoire et des représentations coloniales », Hommes et Migrations n°1234, (Novembre-décembre 2001, France), p.14

متابعات للقساوسة. يسوعيين، القسين ميساري(Messari) وبوشكاريلي(Buccharilli) تم توقيفهما. الأول مات في السجن. الثاني قطع رأسه يوم 11 أكتوبر 1723، مع تسعة تونكينيين مسيحيين الذين كانوا معلمين للدين"[1]. هذا العداء للمبشرين لم يتوقف طيلة القرن الثامن عشر، الأمر الذي يؤكده نفس المصدر وفي نفس الصفحة، باشارته إلى قتل قسين أخرين سنة 1773.

حالة ردع المبشرين استمر في بلاد الهند الصينية المطلة على المحيط الهادي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وسبب القمع في الحقيقة ليس بخلفية اختلاف المعتقد الديني بالنسبة للأسياويين، وإنما كان ضد مجموعة سياسية أجنبية خطيرة على أمن الدولة[2]، خاصة وأنّ تلك المجموعة الدينية الكاثوليكية الجديدة في البلاد، قد أصبحت تشكل ثاني طائفة من حيث العدد في كل شرق أسيا بعد الفليبين، أما الدعامة الأساسية الثانية التي مكنت المبشرين من لعب دور هام في المنطقة وعلى المدى الطويل، هو اعتماد الحرف اللاتيني في كتابة اللغة الفيتنامية كوك نغو(quôc ngu)، وهو الوسيلة التي سمحت بالتعامل وقراءة الكتب المسيحية بسهولة، الشيء الذي استغلته فرنسا وسهّل لها التدخل في الشؤون الداخلية في كل من ممالك التونكين، الآنام والكوشينشين في نهاية الخمسينيات من القرن التاسع عشر[3].

في جويلية 1858، تم اعدام قس اسباني في الآنام، الشيء الذي أثار الجالية الكاثوليكية ضد امبراطور الآنام، فطالب الرهبان من فرنسا التدخل، وفي أوت أرسل نابليون الثالث، حملة عسكرية لتأديب الامبراطور تسو دوك (1829-1883)، وقد ساعدت فرنسا في تدخلها العسكري قوات اسبانية انطلاقا من الفيليبين، فحققت فرنسا انتصارات عدة، اهمها الاستيلاء على مدينة سايغون وحصونها في 17 فيفري 1859، وبعد سحب المقاومة خارج المدينة، أرغم تسو دوك على يوم 5 جوان 1862 امضاء معاهدة تسليم سايغون ومناطق عدة في الجنوب التي شكلت منها فرنسا مستعمرة الكوشينشين، الامر الذي علّقت عنه صحيفة لو كونستيتسيونال(Constitutionnel) الفرنسية، الصادرة يوم 30 جويلية 1862، بقولها "إنّ حملة الكوشينشين انتهت بسلام سعيد والتي لم ينتظر منها غير ذلك. من الناحية المعنوية حققنا نتائج

1-**René François Rohrbacher**, Histoire universelle de l'Église catholique, Volumes 27 à 28, (Imp., J. G. Lardinois, Liège, 1849), pp. 392,393

2- **Simon Pierre-Jean**, op. cit., p. 14

3- Ibid.

كبيرة، لقد لقننا الطاغية الشرقي درسا في الاحترام الجدير بفرنسا وضماننا الحرية والأمن للمعتقد المسيحي في مناطق متوحشة واسعة..."[1]

3-تشكيل اتحاد الهند الصينية الفرنسية:

في 1863 أعلنت فرنسا حمايتها على مملكة كامبوديا، وذلك برغبة من هذه الأخيرة، والسبب الذي جعل سلطاتها تقوم بتلك الخطوة، هو الضعف الذي تعانه وعجزها عن الدفاع عن نفسها، أمام اطماع مملكة السيام (تايلندا الحالية) التي تريد ضمها إلى أراضيها[2].

استمرت فرنسا في حملاتها على التونكين في شمال الفيتنام ومحاربة ملوكها الذين تحالفوا مع الصين والسفن السوداء (قرصان بالنسبة للكتابات الأوروبية) الصينية الرافضة للتوسعات الأوروبية في شرق أسيا، لكن الآنام، أو وسط الفيتنام(عاصمته هوي) الحالي، وشماله أو التونكين (عاصمته هانوي)، سقطا بدورهما في يد القوات الفرنسية، وفي 31 ماي 1883 عيّن القنصل العام الفرنسي لدى بانكوك (عاصمة السيام- تايلندا) محافضا عاما للجمهورية الفرنسية في التونكين[3]، وبذلك استكملت فرنسا احتلال كامل الفيتنام آنذاك (الذي لايختلف كثيرا في حدوده على ما هو عليه اليوم، وقضت على حكم أباطرة أسرة نغويين(Nguyen)، التي حكمت البلاد منذ 1802، فاحتفظ الفرنسيون بالتقسيم السياسي للبلاد إلى ثلاثة مناطق هي الكوشينشين، الآنام، التونكين، والتي كان يطلق عليها البؤات الثلاثة(Les trois Bô)[4].

باستكمال احتلال المناطق الفيتنامية الثلاثة، الكوشينشين(Nam Bô) مستعمرة منذ 1862، ثم اعلان الحماية على التونكين(Bac Bô) والأنام (Trung Bô)، والتي وقعّها امبراطور الآنام، تسو دو، يوم 6 جوان 1884، ثم صادق عليها جول غريفي (Jules Grévy)، رئيس الجمهورية الفرنسية

1- Journal **Le Constitutionnel**, « La Cochinchine pacifiée », 30 juillet 1862.

2- **Magali Barbieri**, « De l'utilité des statistiques démographiques de l'indochine française (1862-1954) », Annales de démographie historique n° 113, (1er trimestre, 2007, France), p. 87

3-**Service Historique de l'Armée de Terre**, Inventaire des archives de l'Indochine, Sous-série 10H (1867-1956), Tome I, Château De Vincennes, 1990, pp.11-14

4-**Magali Barbieri**, op. cit., p. 87

(1879-1887)[1]، ففرضت بذلك الحماية التامة على كامل الهند الصينية سنة 1884، إذ نص البند الاول من تلك المعاهدة بـ " الآنام تعترف وتقبل حماية فرنسا لها. فرنسا تمثل الآنام في كل علاقاتها الخارجية. الآناميين في الخارج يضعون تحت الحماية الفرنسية. وبتلك المعاهدة أيضا جل وقعت الشؤون الادارية والسياسية في تلك المناطق تحت السلطة الفرنسية، أعلن عن تأسيس "اتحاد الهند الصينية الفرنسية سنة 1887، ويتم الحاق اللاووس بها سنة 1893[2].

4-الهند الصينية الفرنسية من تجسيد الحماية إلى سنة 1945:

توقيع معاهدة الحماية لم يكن قضاء على المقاومة الوطنية والرغبة في طرد الاجنبي من بلاد الهند الصينية، بل استمرت خاصة في المناطق الجبلية بالتونكين أو في دلتا نهر الميكونغ في إقليم الكوشينشين بالجنوب، وذلك رغم اعتراف الصين ضمنيا بالاحتلال الفرنسي لهذا الجزء من جنوب شرق أسيا، الذي كان تحت الحماية الصينية في الأصل، كما يشكل بالمقابل جزء من امتدادها الطبيعي والسياسي والحضاري، لكن في حقيقة الأمر، تلك النصوص التي تضمنتها معاهدة الحماية لم تحترم، وكانت محل خروقات من الجانبين، ففرنسا رأتها ورقة بيضاء لتكملة مشروعها التوسعي، فظهر فيها من جديد تيار استعماري نشيط، الذي شجعته نصوص مؤتمر برلين الثاني الذي قسّم القارة الافريقية بين القوى الاستعمارية الأوروبية من جهة، وكتابات منظري الاستعمار الفرنسي الذي نادوا لاحياء الحركة الاستعمارية الفرنسية التي قضت عليها حرب السبع السنين في القرن الثامن عشر، من هؤلاء المنظرين نجد بول لوروا بوليو، الذي صدر له كتاب تحت عنوان "الاستعمار لدى الشعوب الحديثة"، في زمن احتلال النهد الصينية، حيث استنكر التخلي عن المستعمرات وجعله سببا في تراجع مكانة فرنسا، وبالمقابل شجعه، ومما ذكره في هذ المجال، قوله "يبدو الحس الوطني أكثر تنويرا في يومنا هذا، فقد بدأ يدرك أهمية المستعمرات"[3].

لكن، الواقع يشير إلى عكس ذلك، وهو ما تبرزه الوثائق الأرشيفية المرتبطة بالواقع في الميدان، فالنجاح الذي حققته القوات المسلحة، جعلت الصين تعترف بالحماية الفرنسية على الآنام سنة 1885،

1- عن انتخابه رئيسا للجمهورية ثم استقالته في بداية عهدته الثانية، أنظر: https://www.elysee.fr/jules-grevy

2- **Simon Pierre-Jean**, op. cit., pp. 15,16.

3- **Paul Leroy-Beaulieu**, op. cit., pp. V, VI.

في نفس الوقت انهزمت فرنسا أمام المقاومة الوطنية التي استعادت لانغ سون(Lang Son)، التي جرّح فيها الجنرال نغرييه(Négrier)، الأمر الذي أسقط حكومة جول فيري بباريس[1].

تلك المقاومة المسلحة التي تركزت في المناطق الجبلية بالتونكين و مرتفعات اللاووس، غذتها جملة من العوامل، أولها، عملية الغزو والسيطرة في حد ذاتها، ثم تأتي السياسة الاستعمارية الفرنسية التمييزية الاستغلالية العنصرية للعنصر البشري المحلي، أما الثروات والوطن والتجارة فقد سعت السلطات الفرنسية اخضاعها لقوانين المتربول أحيانا، ولتشريعات استثنائية اقصائية تارة أخرى، كل ذلك ضمن مشروع استعماري طبقته فرنسا في أغلب مستعمراتها، وهو ما أطلقت عليه "سياسة الاندماج"، التي نراها نحن شخصيا عبارة عن سياسة السيطرة والاندماج الانتقائي.

لتسيير شؤون اتحاد الهند الصينية الفرنسية، فقد أشار الحاكم العام بول دومير (1897-1901)، في تقرير نهاية عهدته، عن "المزايا" التي حققها والتنظيم الذي اعتمدته باريس للتحكم فيهذا الاتحاد، فنصبت على رأسه حاكما عاما مقره في في مدينة هانوي، عاصمة الفيتنام حاليا، الحاكم يتمتع بصلاحيات واسعة، وهي نفسها المخولة للوزراء في باريس، يساعده في مهامه إدارة عامة تابعة له تحمل صفة الحكومة، وهي مبنية على إدارة مركزية لها ميزانيتها، وقد كلفت هذه الحكومة بالاشراف على الادارات المحلية وميزانياتها[2]، فالكوشينشين تخضع لمسير عام برتبة حاكم (Gouverneur de Cochinchine) وقد صنفت مستعمرة(Une colonie) مثل الجزائر وخضعت للحم المباشر من طرف الفرنسيين، في حين الأقاليم الأربعة الأخرى عبارة عن محميات وهي: الآنام، التونكين، كمبوديا واللاووس، هذه المحميات ظلت تحت سلطة النظام المبراطوري السابق من الناحية النظرية، لأن المشرف عليها من الناحية الفعلية هو الحاكم الفرنسي الذي حمل لقب "المقيم العام" والقصور الامبراطورية أصبحت وبسرعة وسيلة في خدمة السيطرة الفرنسية[3].

استمر الوضع الاداري والعسكري الذي استحدثته فرنسا في اتحاد الهند الصينية الفرنسية على حاله إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى، متحكما في الوضع بصفة عامة، لكن مواطن المقاومة الوطنية ظلت نشيطة ومستمرة وبصفة خاصة في إقليم التونكين المجاور للصين، وفي دلتا نهر الميكونغ نظرا

1- **Service Historique de l'Armée de Terre**, op. cit., p. 13

2-**Paul Doumer**, Rapport sur l'Indochine 1897-1901, (Imp., Schneider, Hanoi, 1902), pp.78-97

3- **Magali Babieri**, op. cit., p.87

للظروف المساعدة، فاستغل هؤلاء الوطنين الوضع الجديد، معلنين الحرب على فرنسا، التي تصدت بقوة وشدة لحركة "التمرد" تلك حسب التعبير الاستعماري، والتي كانت في الحقيقة رغبة وضعور وطني لطرد الغزاة والتخلص من العنصرية والسيطرة والاستغلال[1].

الحرب الكبرى، منحت نفسا جديدا للرغبة في الحرية، إلا أنّ القوة الفرنسية كانت عنيفة في كبحها، فظل الوضع على حاله رغم النشاط السياسي الكثيف للوطنيين الفيتناميين خاصة، إلى أنّ اندلعت الحرب العالمية الثانية سنة 1939، فلجأت فرنسا مثلما حصل ما بين 1914-1918، إلى التعبئة العامة للاهالي النهدوصينيين لمواجهة أي تمرد محتمل أو غزو أجنبي، لكن ذلك لم يجدي نفعا أمام اعتداءين أجنبيين، اليابان وتايلندا، ورغم وفرة العدة الفرنسية، إلا أنّ السبب كان في نقص عدد الضباط المؤطرين للجيش العرمرم من الأهالي الجنود وضباط الصف، فكانت انتكاسة جوان 1940 لفرنسا، قد ذاقت مراراتها حتى في الهند الصينية، ورغم وصول حكومة فيشي مع طوكيو إلى اتفاق في 22 سبتمبر، الذي نص على عدم استعمال الفيتنام لضرب الصين، لكن اليابانيون ضربوا ذلك الاتفاق عرض الحائط[2]، وبقيت فرنسا مجرد جسد بلا روح، وهو حالها المر حتى في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي دفع حركة التحرر سريعا في الهند الصينية أولا، والمستعمرات ككل.

الخاتمة:

- دام الاحتلال الفرنسي للهند الصينية تقريبا قرن من الزمن بعض المناطق (91سنة في الكوشينشين مثلا)
- الاستعمار الفرنسي في هدا الجزء من العالم لم يختلف عن باقي المناطق في عنصريته، استغلاله وقمعه وإبادته للسكان المحليين الذين أخذو صفة الأنديجان كالجزائريين
- لجأت فرنسا إلى سياسة الاندماج الانتقائي في المستعمرات الخمسة
- عجزها عن مواجهة اليابان خلال الحرب العالمية الثانية، والنشاط الكثيف للفكر الشيوعي في الفيتنام، جعل المأساة التي خلفها الاستعمار الفرنسي تتحول إلى أزمة من أزمات الحرب الباردة.

1- **Service Historique de l'Armée de Terre**, op. cit., p. 18

2- Ibid., pp. 18,19.

ج- بقية الاستعمار الأوروبي في أسيا.

مقدمة:

في القرن التاسع عشر تعرضت القارة الأسيوية، مثل الإفريقية طبعا، لهجمة استعمارية أوروبية شرسة، وقد تعرضنا في دراستنا السابقة لواقع بلاد الهند التي سيطرة عليها الإنجليز، وكذا بلاد الهند الصينية التي سيطر عليها الفرنسيون، لكن نفس الوضع المرير عاشته أيضا بلدان ودول أسيوية أخرى تحت الوصاية الأوروبية، ومع اعتبار تلك التوسعات قديمة بحكم ارتباطها بحركة الكشوفات الجغرافية التي عرفها القرن السادس عشر، إلا أنّ السيطرة المجسدة شيئا فشيئا، والخضوع جعل الصينيون يطلقون على تلك الحقبة الزمنية، أي القرن التاسع عشر، بـ "قرن الخجل" بحكم الوصاية الاستعمارية الأوروبية التي تعرضت لها أسيا. فما هي مظاهر السيطرة الاستعمارية الأوروبية في باقي مناطق شرق وجنوب وجنوب شرق أسيا؟

1- الصين بلد شبه محتل:

المتتبع للتدخل الأوروبي في هذا البلد القارة والعملاق بسكانه، يدرك التناقضات التي عاشتها الصين خلال القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين، فالبلاد كانت تحت سلطة أسرة مندشو(Mandchoue)، التي حكمت من 1644 إلى 1912[1]، فقد تعرضت للسيطرة الغربية من الناحيتين الإقتصادية والسياسية مثل حال الهند أو مصر، وهو الشيء الذي أطال في ظاهرة التنمية الاقتصادية في هذا البلد إلى النصف الثاني من القرن العشرين[2].

1-**John King Fairbank**, La grande révolution chinoise : 1800-1989, Tra. Sylvie Dreyfus, (Ed., Flammarion, Paris, 1989), p.25

2-**Chesneaux Jean**, « L'histoire de la Chine aux XIXe et XXe siècles », Annales. Economies, sociétés, civilisations N. 1, (10e année, 1955, France), pp. 95-98

تدخل الانجليز خاصة في شؤون الصين عن طريق التجارة انطلاقا من الهند، وإلى غاية 1839، فتحت الصين ميناء كانتون فقط في الجنوب، أمام التجار الأوروبيين وعلى راسهم البريطانيين، وكانت المعاملات تتم مع نقابة كو هونغ (Co-hong)، وهي مجموعة من الوكلاء المخول لهم التعامل مع الأجانب، في الوقت الذي منعت سلطات الامبراطورية الاتصال مع الشعب الصيني مباشرة، إلا أنّ وذلك بسبب تأثير هذا المخدر على صحة المجتمع، فالسلطات الصينية قد منعته منذ 1796، لكن إلى غاية 1830 تضاعفت هذه التجارة المبنية على القنب الهندي مقابل النقود في الصين، الشيء الذي دفع السلطات الصينية لمحاربته نظرا لعواقبه الوخيمة على صحة المجتمع الذي يضيع ماله في مخدرات ثم وقته بسبب التخدير، ونظرا لاسباب سياسية أخرى أكثر أهمية،و هي رفض الصين مبدأ التساوي في السيادة في بناء العلاقات الدبلوماسية، وكذا حرية التجارة، ونظرتها السلبية للتجار الأوروبيين الذين وصفتهم بالشياطين الاجانب، ما جعلها تشترط عليهم قطع وعد عدم الاتجار بالأفيون حتى تسمح بتزويدهم بالماء والغذاء في كانتون، الشيء الذي دفع التجار الانجليز الاستنجاد بلندن، بارسال حملة عسكرية،و هو الشيء الذي حصل سنة 1839 ليدخل البلدين في صراع ينتهي بانتصار بريطانيا بعد اعلان الصين للحرب، لكن في النهاية التي أملت لندن شروطها على بكين، بعد فرض البريطانيين للغة المدفعية[1].

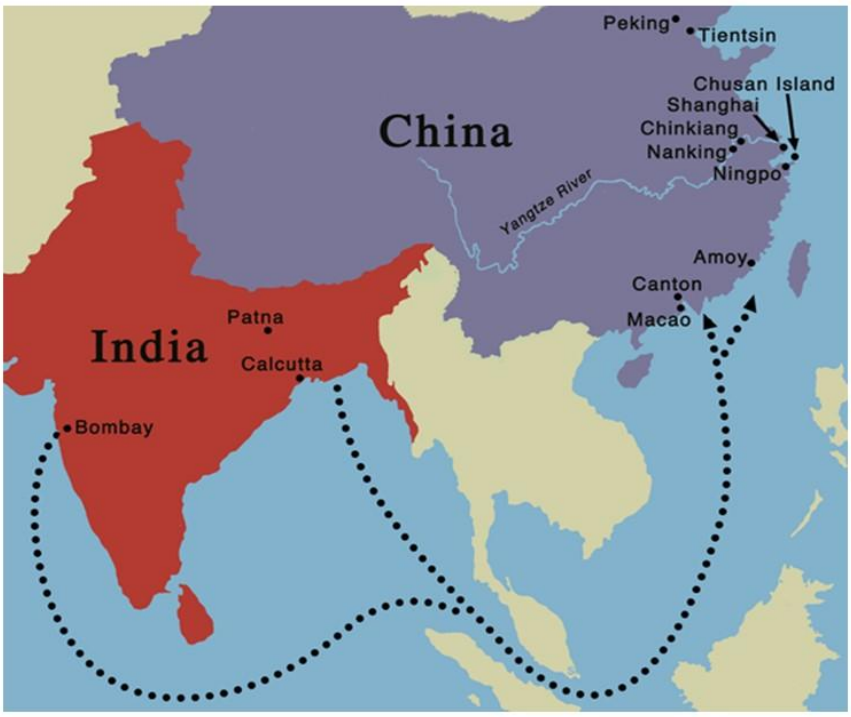

Les routes de l'opium entre la Chine et l'Inde contrôlée par les Britanniques

1- **Julia Lovell**, La guerre de l'opium 1839-1842, Tra. Stéphane Rooques, (Ed., Libella, Paris, 2017), pp. 17-35

هذه الحرب انتهت بتوقيع الصين لاتفاقية نانكين، التي فرض فيها البريطانيون شروطهم على أباطرة كنغ(Qing)، الذين فتحوا بموجب تلك الاتفاقية خمسة مواني،(كانتون، اموي،فوزهو، شنغهاي نينغبو) أمام "التجارة الحرة" التي نادت بها الشركة البريطانية للهند الشرقية، والتنازل عن جزيرة هونغ كونغ، والاجانب يخضعون لمحاكم سفارات الدول التي ينتمون إليها وليس للتشريعات الصينية، ودفع تعويضات الحرب قدرها 21 مليون دولار[1].

هذه الهدنة المشروطة فرضت الامبرايالية الغربية على الصين لمدة قرن من الزمن تقريبا، وذلك باسراع فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية على فرض معاهدات على بكين سنة 1844 مثلما فعله الانجليز، وقد تجددت حرب الأفيون ثانية في هذا البلد الاسيوي مع الانجليز والفرنسيين في حلف ثنائي (1856-1860)، جعل التجارة مع الصين في الصالح الأوروبي اكثر فأكثر، ما جعل الصين تعرف ولادة مجتمع شبه مستعمر وشبه اقطاعي، وقد علّق ماو تسي تونغ، زعيم الثورة الشيوعية، و أبو الصين الجديدة عن ذلك الوضع قائلا: "إنّ االرأسمالية الأجنبية قد لعبت دورا هاما في انحلال الاقتصاد الاجتماعي في الصين، إذ نسفت، من جهة، أسس اقتصادها الطبيعي القائم على الاكتفاء الذاتي ودمرت الصناعات اليدوية المنزلية للفلاحين"[2].

2- أندونيسيا:

أ-**الموقع:** يمتد ارخبيل الجزر الأندونيسية في جنوب شرق أسيا على طول خمسة ألاف كيلومتر من الشرق إلى الغرب، وهو يشمل حسب آخر الاحصائيات 16056 جزيرة، أما من الناحية الحضارية فقد ارتبطت بالهند والصين إلى غاية

1- **دار الشعب بشنغهاي**، حرب الأفيون، (دار النشر باللغات الأجنبية، ط.1، بكين، 1979)، ص. 81-83

2- المرجع نفسه، ص. 91-94، 102، 103.

القرن الثالث عشر، حيث امتد الاسلام إليها وبدأت بعض الامارات الاسلامية في جاوة وسومطرة خاصة تؤثر أكثر في حياة الناس، حتى أصبح اليوم هذا البلد الأسيوي، أكبر بلد في العالم الاسلامي من حيث عدد السكان الذين يدين 87 في المائة منهم بالديانة الاسلامية.

ب–**وصول الاوروبيين إليها في القرن 16:** يعد البرتغاليون أول من وصل إليها من الاوروبيين سنة 1511، واستقروا في خليج ملاكا، ثم لحق بهم الاسبان القادمين إليها من المحيط الهادي مع رحلة ماجلان الذي بلغ الفيليبين سنة 1521، ونظرا لأثر تجارة التوابل المربحة الشائعة أوروبا والقادمة من جزر الملوك، وصلت عدة مجموعات من التجار الأوروبيين بمرور الزمن، أهمها رحلة التجار الهولنديون الذين يتقدمهم كورنليس فون هوتمان(Cornelis Van Houtman) سنة 1596، الذي وصل إلى أرخبيل: بانتين(Banten)، سوندا‌كيلابا (جاكرتا الحالية–Sundakelapa)، مادويا وبالي، وتبرز تلك الأهمية في التأثير الشديد الذي رافق كونيلس وكل مواطنيه من بعده السواء الذين لحقوا إلى هذه الأصقاع البعيدة، أو الذين ظلوا في الأراضي المنخفضة، وذلك بتأثيرهم العميق في مجرى تاريخ هذه الجزر الأسيوية[1]. فكيف انعكس ذلك على مستقبل أندونيسيا وهولندا معا؟

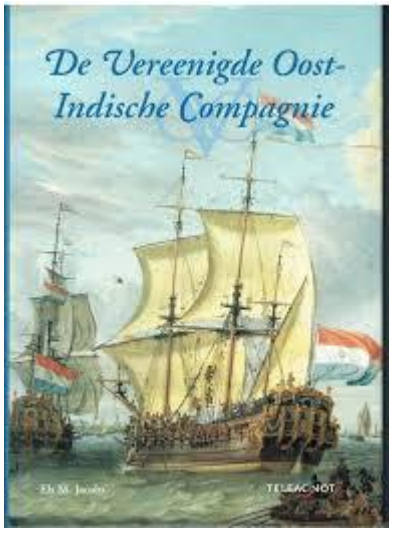

ج–من التجارة إلى الاحتلال:

عاد كورنليس إلى بلده في أوروبا سنة 1597، لكن تجار وبحارة آخرون من مواطنيه واجهوا عباب اليم في رحلة إلى الشرق، لأن أرباح تجارة الهند الشرقية عند العودة كانت تحقق مائتين في المائة، رغم الخسائر بسبب غرق المراكب أو هجمات المنافسين، ذلك جعل الوزير الأول(Raad pensionaris) في جمهورية المقاطعات المتحدة[2]، يدعوا في سنة 1602، منظمي هذه الرحلات التجارية إلى

1– **Robert Aarsse**, L'Indonésie, (Ed., Karthala, Paris, 1993), p. 75

2– تتألف من سبعة مقاطعات في الأراضي المنخفضة الغربية، استقلت سنة 1581 عن باقي المقاطعات التي استمرت تحت التاج الاسباني، ثم تحولت سنة 1795 إلى جمهورية باتافيا، في الوقت الذي وقعت فيه الأراضي المنخفضة الجنوبية تحت سيادة فرنسا، فحوّل نابوليون فيما بعد باتافيا إلى مملكة هولندا تحت إمرة أخيه لويس نابوليون بونابرت سنة 1806.

تأسيس شركة متحدة يتقاسمون فيها الاستثمارات والخسائر والأرباح[1].

د-شركة الهند الشرقية الهولندية وسياستها التوسعية:

تلك الوصية جعلت التجار يؤسسون في 20 مارس 1602 شركة الهند الشرقية، وقد شاع ذكرها في مختلف المراسلات والكتب باسم فوك(VOC)، وهو مختصر تسميتها فيرنيغ دي اوست انديتش كومباني (Vereenigde Oostindische Compagnie). قدّر رأسمالها عند التأسيس بنصف مليون جيلدر هولندي (Florins néerlandais)، ويسيرها 17 مدير، على رأسهم حاكم عام يقيم في أندونيسيا إذ وصل أولهم سنة 1609 واستمروا على ذلك الحال إلى غاية 1799 [2].

ساعد الحكام العامون (أولهم وصل سنة 1609، وآخرهم 1799)، ساعدهم في مهامهم ستة مكاتب محلية متفرقة في الأرخبيل التي اتخذت صفة حكومات جهوية، التي بدورها اعتمدت على التجار أو ممثليهم، بالإضافة إلى المشرفين على المراكز التجارية في مختلف الجزر، حتى تكونت إدارة ذات عدد كبير من الموظفين، الشيء الذي جعل شركة فوك تقوم بمهام الدولة الاستعمارية نظرا للمكاسب التي حصلت عليها، والقوة التي امتلكتها بفعل تجارتها بين موانئ أسيا أولا وأوروبا ثانيا[3].

التحول من التجارة إلى الاستعمار بدأ مبكرا، ففي سنة 1619، قد دمّر الحاكم العام الهولندي جان بيترسزون كون(Jan Pieterszoon Coen) مدينة جاياكرتا، التي هي مقر أمير تابع لسلطنة بانتين الاسلامية غرب جزيرة جاوة، فأقام على انقاضها قلعة باتافيا[4](Batavia)، التي اتخذت مركزا اقتصاديا

1-Robert Aarsse, op., cit., p.75

2- Ibid.

3- Ibid., pp.75,76

4- سميت بذلك تخليدا لقبائل البتاف الجرمانية التي استوطنت مجرى الراين الأدنى وتعتبر أسلاف الهولنديون وبعض البلجكيين.

واستعماريا، لتفرض السيطرة والإدارة والرغبة الهولندية على الأندونيسيين حتى الغزو الياباني لكل جنوب شرق أسيا خلال الحرب العالمية الثانية [1].

اهتمت شركة فوك وإدارتها الاستعمارية أكثر بالجانب التجاري، وهمها الوحيد هو شحن السفن إلى أوروبا والحصول على الأرباح على حساب الفلاحين الأندونيسيين، الذين أوكلت أمر إدارتهم، وضمان استغلالهم لأبناء البلد المتعاونين مع الاستعمار، فحقق الهولنديون والمتعاونين معهم أرباحا طائلة على حساب باقي سكان تلك الجزر [2].

في نهاية القرن الثامن عشر، عرفت هولندا امتداد أفكار الثورة الفرنسية إليها، فتأسست فيها جمهورية باتافيا سنة 1795 الموالية لفرنسا، ونظرا لمشاكل الديون التي كانت تعاني منها الشركة خاصة بعد الحرب مع انجلترا خلال سنوات 1780-1784، قررت الدولة الجديدة في الأراضي المنخفضة الغاء احتكار فوك لتجارة الهند الشرقية سنة 1798، وتحمل إرث الشركة، وأصبحت أمستردام في اتصال مباشر مع سكان تلك الجزر، التي أطلق عليها "الهند النيرلاندية" [3].

خلال القرن التاسع عشر، عرفت هولندا تغيرات جذرية في المجالين السياسي والاقتصادي، أما الأول فهو مرتبط بالوضع العام الذي عاشته أوروبا من صراعات بين الانظمة التقليدية (الملكية والجمهورية أو الديمقراطية، وغزو نابليون بونابرت لها وتعيين أخيه لويس ملكا عليها ما بين 1806-1810)، في حين الثاني مرتبط بالثورة الصناعية، لكن خاصة بالسياسة الاستغلالية التي اعتمدها الهولنديون في اندونيسيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، خاصة في عهد الحاكم العام فان دان بوش (Van Den Bosch)، بفرضه على سكان تلك الجزر ما أطلق عليه "الزراعة الالزامية" التي اهتمت بالإنتاج المخصص للتصدير، كالبن وقصب السكر والمطاط على حساب الزراعة المعاشية المرتبطة أساسا بمحصول الأرز، كما انتزعت أراضي من السكان قسرا، وأصدرت عملة نحاسية أضفت عليها قيمة

1- **Robert Aarasse**, op., cit., p.76

2-**Devillers Philippe**, « L'Indonésie depuis 1942 : État des travaux », Revue française de science politique n°4, (8e année, 1958), pp. 885.

3- **Coolhaas W. Ph**, « Outre-Mer néerlandais », Revue d'histoire des colonies n°156-157, tome 44, (troisième et quatrième trimestres, 1957, pp. 388

الجيلدر الهولندي، في الوقت الذي تقل قيمتها بثلاثة أضعاف في الأراضي المنخفضة. تلك السياسة المتبعة اتجاه الاندونسيين، أدت إلى انتشار الفقر والمجاعات في البلاد، وبالمقابل، استطاعت امستردام تغطية نفقات حروبها مع بلجيكا الراغبة في الاستقلال، وكذا مد السكك الحديدية وشق القنوات في البلاد[1].

والشيء الذي قلّل من ثورات الأهالي، هو اعتماد الهولنديين على الحكام والسلاطين والأمراء المحليين (حوالي 300 حاكم) سواء كانوا مسلمين أو هندوسيين، فسمح ذلك لفوك ولجمهوررية باتافيا فيما بعد، ولأسرة أورانج لاحقا التوسع في المنطقة وبصفة خاصة خلال القرن التاسع عشر، حتى سيطروا عند حدود سنة 1914، على جميع الجزر التي تشكل اليوم أندونيسيا[2].

أندونيسيا التي عرفت استعمارا له خصوصياته، لكنه لم يختلف عن غيره في سياسته العنصرية والاستغلالية التي أدت إلى تنامي الوعي الوطني الذي مثلته الأحزاب السياسية، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم بعد الغزو الياباني للبلاد سنة 1942، الذي فرض وضعا سياسيا وعسكريا جديدا في كل شرق وجنوب شرق أسيا، الأمر الذي دفع بحركة التحرر سريعا إلى تحقيق أهدافها والمتمثلة في الاستقلال سنة 1949، بعد حرب تحررية دامت 5 سنوات، واحتلال غاشم دام ثلاثة قرون ونصف من الزمن.

1- **Coolhaas W. Ph**, op. cit., p. 387-388

2- **Eric Nguyen**, op. cit., p. 31,32

3- الفليبين:

أ- الموقع:

يقع أرخبيل جزر الفيليبين في جنوب شرق أسيا، يتكون من 7.107 جزيرة، أكبرها لوزون ثم ميندناوو، و11 منها تغطي 94 في المائة من مساحة البلاد، التي يقطنها حوالي مائة مليون نسمة حسب احصائيات سنة 2015، 80 في المائة منهم مسيحيون كاثوليك، 5 في المائة مسلمون. البلد يسوده مناخ مداري رطب، ما جعله دائم الاخضرار، إلا أنّه غير مستقر جيولوجيا، فالزلازل شبه يومية ويوجد فيه 52 بركان، 11 منها نشيطة، واعلى قمة فيه تبلغ 2954م (أبو-Apo) في جزيرة ميندناوو[1].

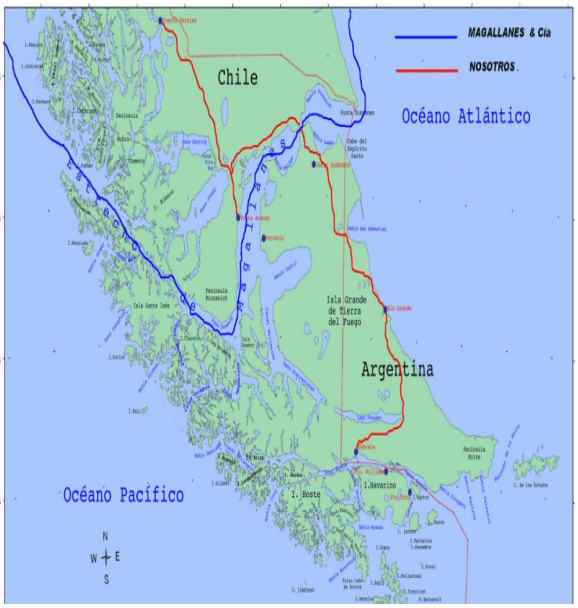

ب-وصول الاسبان إلى الفيليبين واحتلالها:

تعد من المستعمرات الأسيوية الكبيرة في مساحتها والتي تواصل فيها الاستعمار بصفة غير منقطعة منذ 1521، السنة التي رسّت فيها سفن البحار البرتغالي ماجلان، العامل لصالح عرش اسبانيا، على سواحل جزيرة سيبو من هذا الأرخبيل بعد رحلة مضنية دامت سنتين، قطع خلالها المحيط الأطلسي، ثم المرور عبر المضيق الذي اكتشفه

1- http://www.exteriores.gob.es/Documents/FichasPais/FILIPINAS_FICHA%20PAIS.pdf consulté le 31 juillet 2020.

وأصبح يحمل اسمه في أمريكا الجنوبية، ومنها عبر المحيط الهادي إلى شرق أسيا، لتدخل اسبانيا في صراع جديد مع البرتغال حول ثروات "الهند"[1].

تلك الجزر في شرق أسيا والتي وصل إليها البحار ماجلان قادما من أمريكا وهو يعمل لصالح العرش الاسباني، وفي الحملة الثانية عليها التي قادها روي لوبيث دي بيالوبوس (Ruy López de Villalobos)، انطلاقا من اسبانيا الجديدة (المكسيك)، سنة 1542، فوصل إلى جزيرة ميندااوو (Mindanao) التي أطلق عليها اسم "فيليبيناس" (الفيليبين في اللغة الفرنسية)، تخليد للأمير فيليب[2]، ولي عهد الامبراطور شارلكان، ثم استمرت عملية التوسع مابين 1564 و1565 انطلاقا من سواحل المحيط الهادي المكسيكية، وقد اعتمد ملوك مدريد ونوابهم في مكسيكو أثناء توسعاتهم تلك على الكنيسة الكاثوليكية التي اهتمت بالتبشير ونشر المسيحية في صفوف السكان[3].

منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر عرفت أوروبا الغربية تغيرات عميقة، سياسيا وإقتصاديا وعسكريا، الشيء الذي كان قليل الأثر في كامل شبه الجزيرة الايبيرية، فانجلترا بدأت قوتها في التنامي، وأسطولها الحديث يجوب البحار والمحيطات، وخلال حرب السبع سنين غزى الانجليز كل من هافانا ومانيلا[4] وما رافقه من ثورة المزارعين في حقول الأرز بسهول جزيرة لوزون (أكبرها جميعا)، ذلك جعل الحكومة في مدريد تصدر تعديلات في نمط تسيير "الهند الشرقية الاسبانية"، من خلال جعل الحكم فيها

1- **Maria Dolores Elizalde Perez-Grueso,** "Filipinas, plataforma hacia Asia", Revista Torre de los Lujanes N°63, Real Sociedad Económica Matritense de los Amigos del País, (2008, Madrid), pp. 118,119.

2- الذي أصبح ملكا بدوره تحت اسم فيليب الثاني (1555-1598)

3- **Eric Nguyen,** op. cit., p. 31

4- تأسست في 24 جوان 1571 حسب المصادر الاسبانية، بأنّ بيوت البلدة كانت من القصب وقد خرّبها الحاكم العام لابيتاريس، ومنذ ذلك الوقت تحولت إلى مركز للتوسعات والحروب الاسبانية في الفيليبين، وهي اليوم عاصمة البلد. أنظر:

Joaquín Martínez de Zúñiga, Historia de las Islas Filipinas, (Impr. Pedro Arguelles de la Concepción, Sampaloc, Manila, 1803), p. 216

أكثر مركزية، ورفع الضرائب على السكان لضمان ميزانية البلد ونفقات قوات الاحتلال وأعوان إدارتها، ثم دعم العاصمة بتحصينات عسكرية، الأمر الذي ضمن استمرار الوجود الاستعماري والهدوء إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر لأنّ النير كان جد ثقيلا على رقاب أبناء الوطن[1] رغم التحول السياسي الذي عرفته اسبانيا جراء غزو نابليون لها سنة 1808، بتعيين جوزيف نابليون ملكا عليها، وصدور ما اطلق عليه ميثاق بايونة يوم 7 جويلية 1808، الذي اعترف بالمساواة أمام القانون بين الميتروبول والمستعمرات، حيث منح لهذه الأخيرة، حق التمثيل النيابي في لاس كورتيس (البرلمان) الاسبانية، الأمر الذي اعتمده أيضا دستور قادش سنة 1812، وتأكيد تمثيل الفيليبين في البرلمان الاسباني[2].

ج – الفيليبين في ظل تجدد اشتداد الحركة الاستعمارية الأوروبية 1821-1898

ظل تسيير هذه المستعمرة الاسبانية انطلاقا من المكسيك الذي استقل في 1821، وبذلك أصبح التحكم فيها انطلاقا من مدريد بصفة مباشرة، ، وأمام اشتداد التنافس الاستعماري الأوروبي والتجاري العالمي في نفس الوقت، ازداد معه طغيان الادارة الاستعمارية الاسبانية في تلك الجزر، بسبب التخوف من استغلال الفيليبينيين الضعف الذي دبّ في أركان عرش آل بوربون، للمطالبة بالاستقلال مثلما حصل مع أغلب المستعمرات الاسبانية في القارة الامريكية خلال القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي عرف فيها النشاط التجاري العالمي والتنافس الاستعماري الأوروبي حول المستعمرات أشده، لكن اسبانيا بقيت تتفرج على مسرح الأحداث التي تجاوزتها بفعل التطور الصناعي الذي عرفته غرب أوروبا.

في 1895 واجهت اسبانيا مشكلة حرب استقلال كوبا، التي تعد آخر أزماتها في الحركة التحررية التي هزت مستعمراتها في أمريكا منذ بداية القرن، الحادثة التي استغلتها الولايات المتحدة الأمريكية لتجسيد هيمنتها الكاملة على قارتي أمريكا، فتدخل العم سام وفق ما قضى به مبدأ مونرو، ولم يعد بذلك

---

1 – **María Dolores Elizalde Pérez-Grueso**, op. cit., pp. 126-129

2 – **David Manzano Cosano**, "Filipinas en la historia del constitucionalismo español y su representación en las cortes españolas", Revista Española de Derecho Constitucional núm. 106, (enero/abril 2016, Madrid), pp. 273-286,

للأرمادا الاسبانية وجود سنة 1898، بل استسلم جزء منها للسفن الأمريكية الحديثة، والجزء الأخر، أُغرق نهائيا في بحر الكاريبيب، الذي بدأت منه البحرية الاسبانية مجدها منذ أربعمائة وستة سنوات خلت[1].

د- الفيليبين مستعمرة أمريكية 1898-1946

انهزام إسبانيا أمام كوبا، فتح المجال للامبريالية الأمريكية المتنامية للتدخل أيضا في حرب استقلال الفيليبين، وهو الأرخبيل الاستراتيجي الذي بدى لواشنطن، جد مناسبا لكسب باب على أسيا عامة والسوق الصينية خاصة، لذلك استغلت الولايات المتحدة الفرصة للمرة الثانية، لنصرة ثوار مانيلا في الظاهر، وأرغمت مدريد على الخروج من الفيليبين أيضا مقابل مبلغ 20 مليون دولار امريكي، لكن تلك النقود كانت ثمنا لتجسيد الهيمنة وتطويرها، الشيء الذي دفع بالفيليبينيين إلى اعلان الحرب على الأمريكيين أيضا، مع ذلك فالاحتلال الأمريكي فرض نفسه بالقوة سنة 1905، واستمر الواقع الاستعماري الجديد في الفيليبين تحت وصاية جديدة إلى غاية 1935، السنة التي اعلنت فيها واشنطن بأنّ هذا البلد الأسيوي تجمعه شراكة مع الولايات المتحدة الامريكية بنظام الكومنويلث، الأمر الذي سيغيره الغزو الياباني لكل شرق وجنوب شرق أسيا عام 1942، الذي عجّل باستقلال الفليبين في 1946[2].

الخاتمة:

- التدخل الاوروبي في الصين لم يحقق احتلال واسع لكنه فرض السيطرة الغربية وتحكم في شؤون البلاد الاقتصادية.
- اندونيسيا استعمل فيها الهولنديون التجارة كأسلوب للتوسع مع اعتماد سياسة غير مباشرة في تسيير شؤون الأندونسيين بالاعتماد على الحكام المحليين، ما جعل هذا الاستعمار يستمر فيها رسميا من 1602 إلى 1949، حيث اعتبرت نموذجا للمستعمرات الهادئة لدى الغربيين.

---

1 - **Paul Estrade**, « Cuba à la veille de l'Indépendance: le mouvement économique (1890-1893). II Bilan et essai d'interprétation », Mélanges de la Casa de Velázquez, tome 14, (1978, Madrid), pp. 353-380.

2- Ibid.

- الفليبين من بين أقدم المستعمرات الأسيوية، التي عانت كثيرا تحت السيطرة الاسبانية (1521-1898)، ثم الامريكية (1898-1946)، وانعكس أسلوب التبشير الذي اعتمده الاسبان في توسعاتهم على الحياة الدينية في هذا البلد الأسيوي، مثل ما حصل مع القارة الأمريكية.

المحور الرابع:

تداعيات الحركة الاستعمارية على شعوب القارتين

تداعيات الحركة الاستعمارية على شعوب القارتين

مقدمة:

عانت شعوب أسيا وإفريقيا من الليل الاستعماري الطويل، الذي دام عشرات السنين أحيانا وقرون أحيانا أخرى، وذلك في جميع المجالات، السياسية والاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، وأحيانا حتى البيئية، وذلك نتيجة سياسة استعمارية عنصرية وإقصائية في أقل ما يقال عنها، الشيء الذي انعكس سلبا على أبناء المستعمرات حتى في مرحلة ما بعد الاستقلال. فماهي مظاهر هذه التداعيات؟

1- الابادة والعنصرية:

خرجت الحركة الاستعمارية الأوروبية غازية للأوطان في إفريقيا وأسيا ومتعدية على الشعوب الضعيفة، وحملت معها رواية "تمدين الشعوب المتوحشة"، وهي الحجة التي كان يبرر بها الاستعماريون البرتغاليون والاسبان والانجليز والفرنسيون أفعالهم الاجرامية، من قتل وتشريد، وهي الأمور التي عاشتها الجزائر مثلا، وكغيرها من المستعمرات الفرنسية، فقد بدأ العنف مع الحملة والنزول في سيدي فرج سنة 1830، ورغم عهد الأمان الذي قطعه دي بورمون في معاهدة الاستسلام، فإنّ ذلك كان حبرا على ورق. فإبادة قبيلة العوفية من طرف دي رفيغو، والحملة على قسنطينة وسقوطها سنة 1837، وسياسة الأرض المحروقة التي اتبعها السفاح بيجو وغيرها من السلسلة الدرامية أثناء الليل الاستعماري الطويل، قد دوّنها المجرمون أنفسهم في مذكراتهم. من بين هؤلاء العقيد بيليسييه(Pélissier) و سانت أرنو (Saint Arnaud) الذان ارتكبا محرقة مغارة الفراشيش بجبال الظهرة (نواحي مستغانم) في بداية صيف 1845، حينما فرّ أبناء قبيلة أولاد الرياح إلى كهوف المنطقة بحثا عن الآمان والسلم، فاحتموا بداخل الفجوة، لكن سانت أرنو أمر باضرام النار عند مدخل الكهف، فمات المحتمون من شيوخ ونساء وأطفال في ذلك الملجأ اختناقا بالدخان والحرارة، الحادثة التي استرسل مرتكبها روايتها في كتاب لأخيه بباريس، ولم تختلف تلك الرسالة عن غيرها فيما تضمنته من وصف للتراجيديا المروعة وعن العنف الشديد الذي مارسه العسكريان

وعموم الجيش الفرنسي في الجزائر، ويمكن اعتبار تلك الشهادات التي دوّنت في جزئين أنموذجا عن الطغيان الاستعماري في تاريخه الطويل بصفة عامة[1].

لم يكن سانت أرنو وحيدا فيما ذكره، بل عمليات قتل وترهيب الجزائريين وغيرهم من المستعمَرين، قد دُوّنت في صفحات لا حصر لها، وأغلب الكتابات حملت في طياتها رواية كابوس الاستعمار من تنكيل بالجثث وحرق واعتداءات على الأملاك والنفوس، وفي هذا المجال ذكر الباحث مارك فيرو " *في القرن التاسع عشر، العسكريون كانوا من أكبر الذباحين، ينتمون إلى النخبة الاجتماعية: لابيرين، بيجو، سانت أرنو، غنهم من العائلات الكبيرة، هذا الأخير كان يرتل تسابيح المسيحي في الوقت الذي كان فيه يضرم النار في الدواوير. نفس الفعل قام به الغزاة الانجليز...*[2]"

آخرها ما ذكره الجنرال ماسو و أوساريس عن تعذيب الجزائريين أثناء الثورة التحريرية المظفرة، وكل ذلك قد أثاره جول فيري النائب البرلماني، ثم وزيرا التعليم، فرئيسا للحكومة الفرنسية، في خطاب له أمام النواب يوم 28 جويلية 1885، بقوله "حق الأمم السامية على الأمم الدنيا تمدينها وإخراجها من التوحش"، وكان ذلك التصريح بمناسبة اختلاف وجهات نظر الفرنسيين أنفسهم حول توسعات بلدهم في جزيرة مدغشقر، لكن جورج كليمونصو قد رد عليه في نفس القاعة وبعد يومين من ذلك قائلا "[...] رأيت علماء ألمان برهنوا علميا بأنّ فرنسا يجب أن تهزم لأنّ الفرنسيين هم من عرق أدنى من العرق الألماني... " ثم أضاف: " فلا نحاول تغطية العنف بالقناع المنافق للحضارة..."[3]

لكن هذا الصوت لم يكن إلا ظرفيا، لأنّ كليمونصو نفسه واصل السياسة الاستعمارية المسيطرة حتى حينما أصبح رئيسا للحكومة الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى، أما بقية الأصوات المنادية بالاستعمار والغزو قد طغت آنذاك في أوروبا، فشملت كل أطياف الفكر في المجتمع الغربي، فإذا أخذنا

1-**Ad. Leroy de Saint Arnaud**, Lettres du Maréchal De Saint Arnaud, T.2, (Ed., Michel Levy frères, Paris, 1858), p. 29-31

2- Marc Ferro et al., op. cit., p.24

3- **Youssef Seddik**, « Le temps du mépris ou la légitimation de l'œuvre civilisatrice de la France », Revue La pensée de midi, quatrième trimestre, (2009, France), pp. 136 -138

فرنسا الاستعمارية أنموذجا، فنجد في جميع فئات مجتمعها ما أطلق عليه، "الحزب الكولونيالي"، منهم فلاسفة، أمثال إرنيست رينان، وسياسيين وعلى رأسهم الامبراطور نابليون الثالث وكل الجمهورية الثالثة التي أرادت تجاوز هزيمة 1870 أمام الألمان، أما من الأدباء نجد على رأسهم فكتور هيغو، أشهر أدباء فرنسا، الذي رد عن العسكريين الفرنسيين الذين أرادوا الانسحاب من الجزائر، بسبب صعوبة غزوها وطبيعة شعبها الرافض للخضوع، وأرضها الحارة، قائلا لهم "... لكن سنحمل إليها الحضارة..."، وهذه العبارة، تحمل تصورا نمطيا لدى الرجل الأبيض الأوروبي على أنه روح الحضارة نفسها ووسيلة وجودها، وحقه في الغزو وتمدين الشعوب الضعيفة حق رباني[1].

الهجمة الاستعمارية الأوروبية طبعها العنف والعنصرية منذ بدايتها في القرن نهاية القرن الخامس عشر، حتى صارت أسلوبا ممنهجا على جميع الأصعدة والمستويات، في الدولة والمجتمع، وظل حقوق الانسان والأفراد مرتبطة بالعرق والأصول الأوروبية، واستمر ذلك إلى غاية فضاعة العنصرية التي ذاقت مراراتها الأمم الأوروبية خلال الحرب العالمية الثانية، وتحت الأنظمة الشمولية، الأمر الذي جعل مارك فيرو يقول في "الكتاب الاسود للاستعمار" *...ظلت العنصرية في النظرة الأوروبية إلى غاية منتصف القرن العشرين، مرتبطة أساسا بمعاداة السامية، والتصرفات الإقصائية التي يتعرض لها السود الامريكيين، وإلى خصوصيات الحالة البرازيلية، ثم اتسع هذا المجال إلى المستعمرات من خلال الكتابات الصادرة عن المستعمَرين والمضادين للاستعمار*"[2].

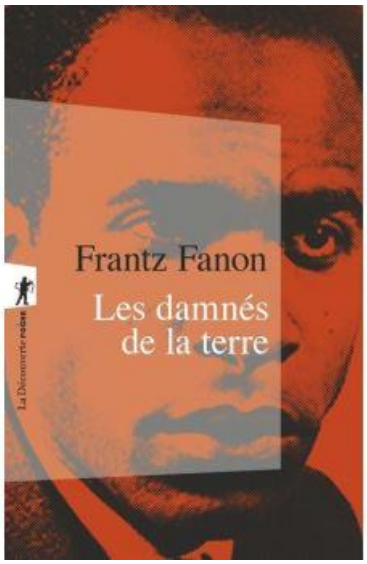

ومن خلال ذلك نقول بأنّ الاستعمار كان منافيا للحضارة وفكرها، بل مرادفا للإبادة والخراب الحضاري، الشيء الذي دوّنه الكثير والكثير من الأدباء والمؤرخين والفنانين وغيرهم، عن البطش الفرنسي

1- **Youssef Seddik**, op. cit., pp. 138-143

2- **Marc Ferro et al.**, op. cit., p.29

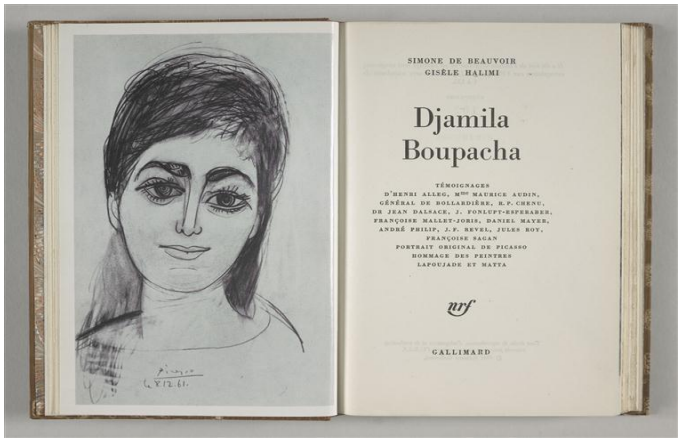

في المستعمرات مثلا، ونستدل في حديثنا هذا بما رواه الأديب فرانز فانون (Frantz Fanon) في مؤلفه "معذبو الأرض" (Les Damnés de la terre) الصادر سنة 1961، أي في خضم الثورة التحريرية الجزائرية، التي استعملت فيها فرنسا كل ترسانتها الحربية للقضاء على رغبة الجزائريين في الحرية والاستقلال، الكتاب برز فيه فانون مأساة الجزائريين، والآثار النفسية الناجمة عن الوضعية التسلطية المدمرة للفرد والمجتمع الناجمة عن الواقع الاستعماري، ثم لدينا المؤرخ الفرنسي اوليفييه لو كور غرانميزون(Olivier Le cour Grandmaison) الذي ربط الاستعمار بالإبادة وأنّه رمزا للتدمير والفتك، في كتابه (استعمار، إبادة– Coloniser, Exterminer) وأخيرا نجد الفنان الاسباني الشهير بابلو بيكاسو الذي لجأ إلى ريشته طالبا العفو من العدالة الفرنسية و إثارة الرأي العام الفرنسي و الدولي من أجل انقاذ و اطلاق سراح المناضلة جميلة بوباشا و إلغاء تنفيذ حكم الاعدام الذي صدر في حقها يوم 28 جوان 1961، تلك الصورة قد طبعت كتاب الثنائي المحامية جيزال حليمي (Gisèle Halimi)والأديبة الفرنسية سيمون دي بوفوار(Simone de Beauvoir)، اللتان دفعتا قانونيا أمام العدالة الفرنسية وفكريا أمام الرأي العام عن قضية بوباشا، هذه المناضلة التي عانت من ويلات التعذيب وتعاطف العالم مع قضيتها، وانتصار الثورة الجزائرية، جعل سلطات باريس تصدر قرار العفو عنها أخيرا في 21 أفريل 1962 [1].

أما الجانب الأخر من العنصرية فقد كان شديدا على الانسان الافريقي الأسود، الذي أصبح سلعة يباع ويشترى، وعبدا يقوم بما يأمره به سيده، وترجع الدراسات التاريخية المرتبطة بالاستعمار الأوروبي

[1]– الكتاب يروي قصة مناضلة جبهة التحرير الوطني جميلة بوباشا، الفدائية بمدينة الجزائر، كما يذكر بصفة عامة معاناة الجزائريين من ويلات الاستعمار الغاشم وأساليبه الوحشية خاصة التعذيب الموجه ضد النساء. أنظر:

Gisèle Halimi et Simone de Beauvoir, Djamila Boupacha, (Ed., Gallimard, Paris, 1962), en 296p.

الحديث، أنّ ممارسة تجارة الرّق بشكلها الجديد، مرتبطة بزراعة قصب السكر، وتعود إلى سنة 1444، حينما قام تجار برتغاليون بأول عمليات نقل للزنوج من سواحل الكونغو إلى مركز مخصص لهذا النشاط في جزيرة ساو تومي المقابلة بخليج غينيا، ثم واصل البرتغاليون ذلك من خلال عمليات شراء وبيع الزنوج بالتفاوض مع ملوك الكونغو، وتم الاتفاق على مائتين رقيقا كحد متوسط في السنة الواحدة، الشيء الذي تواصل على حاله طيلة القرن الخامس عشر، لكن هذا الحد ستؤثر فيه عوامل أخرى، وأهمها تزامن حد الرق المرخص به مع إبادة الاسبان للهنود الحمر بجزر الكاريبب، لتتخذ العملية فيما بعد ازديادا طرديا وبطريقة فضيعة يوما بعد يوما[1].

بعد ذلك، بدأت عملية نقل السود من إفريقيا إلى العالم الجديد للعمل في مزارع قصب السكر، وكانت الانطلاقة في البداية من ساو طومي ولواندا (عاصمة أنغولا حاليا) بحوالي خمسة ألاف شخص سنويا، ثم كبُرت العملية بعد التحاق كل من الاسبان والهولنديين والجنويين بهذه السوق، وقد بلغ عدد السود الذي نقلوا إلى قارتي أمريكا حوالي 9,8 مليون نسمة ما بين 1451 و1870 [2].

في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر اشتدت تجارة الرق نحو الولايات المتحدة الأمريكية أساسا، فارتفع عدد الأفارقة الذين نقلوا إليها، بمعدل ثمانون ألفا سنويا، والسبب هو زيادة طلب الرجل الأبيض الأمريكي على العبيد لتسخيرهم في مزارع جنوب شرق البلاد خاصة، ولم يعد الأمر خلال هذه المرحلة يقتصر على الذين تم أسرهم وسبيهم على السواحل أثناء الإغارات على السواحل، بل امتدت أيادي المرتزقة من الجنود السود المسخرين لذلك ومن أسيادهم الأوروبيين نحو المناطق الداخلية، وقد عرفت هذه الظاهرة الأخيرة خاصة المستعمرات البرتغالية مثل أنغولا والموزمبيق في جنوب شرق إفريقيا، حتى توغلت تلك القوة نحو الأرياف وساقت الرجال والنساء والأطفال زورا لشحنهم في السفن ثم بيعهم في سوق النخاسة الأمريكية، حيثما تصلها البواخر الخارجة من السينغال في مدة عشرين يوما، وشهرا كاملا

1- **Marc Ferro et al.**, op. cit., p.107, 108.

2- Ibid., p. 109.

أو يزيد قليلا للتي غادرت موانئ خليج غينيا، لتصل إلى أربعين يوما فأكثر لتلك التي أبرحت مراس شرق إفريقيا[1].

الرحلة كانت شاقة، وظروفها عسيرة في أقل ما يقال عنها، فلا ماء ولا غذاء كاف، ولا مكان يسع بحساب عدد الركاب، الأيدي والأرجل مقيدة أحيانا، والسوط والتعذيب والرصاص لتأديب أي مقاومة، كل ذلك بمباركة من الكنيسة وتعميد القساوسة قبل صعود أولئك الأبرياء إلى السفن، إنها رحلة الموت، بمباركة من البابا وصليبه، إنّه سفر مضن يفقد فيه الحياة سدس العبيد[2]، وعلى سبيل المثال فقط، أنّ 15587 شخص، لقوا حتفهم من مجموع 170 642 عبيد موجهين من إفريقيا إلى ري ودي جانيرو البرازيلية ما بين 1795 و 1811 [3].

وعلى هامش هذه تجارة الرقيق والاستعمار ككل وأثارهما الفكرية المدمرة للوعي الانساني، فقد تولدت سياسات وأنظمة عنصرية ميّزت بين السكان الاصليين الذين أطلقت عليهم مصطلحات مختلفة وعلى رأسها "الأنديجان"، ففي الجزائر مثلا، انتزعت السلطات الفرنسية الصفة القانونية في الوجود في إطار الدولة، وحرمتهم من جميع حقوقهم الأساسية في وطنهم، فرغم سياسة الاندماج التي اتبعتها خاصة الجمهورية الفرنسية الثالثة (1871-1940)، قد مست فقط المعمرين الأوروبيين، الذين طالبوا منذ السنوات الاولى للاحتلال بذلك، وعليه فقد قال أحد نواب الجزائر في البرلمان الفرنسي "...الاندماج فعل تحفيزي: لا نطالب بتطبيقها على الأهالي: للفرنسيين القانون الفرنسي، للاجانب القانون الدولي، وللسكان الأصليين القانون العسكري..." أما الأميرال غيدون فقد قال: "...السحق، و أتجرأ لأقول استعباد السكان

1- **Marc Ferro et al.**, op. cit., p. 110

2- تذكيرا بهذه بتجارة الرقيق وما نتج عنها، خصصت هيئة الأمم المتحدة يوم 25 مارس من كل سنة يوما دوليا لإحياء ذكرى ضحايا الرق وتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي. أنظر:

https://www.un.org/ar/events/slaveryremembranceday/background.shtml, consulté le 27 avril 2019

3- **Marc Ferro et al.**, op. cit., p.110

الأنديجان[1]". تلك هي نماذج المواقف التي حاربت وجود الجزائري كإنسان في وطنه، والتي أدت بدورها إلى تحول التصريحات والمواقف الشخصية، إلى إرادة سياسية للدولة الفرنسية التي أصدرت قوانين تعسفية خضع لها المسلمين الجزائريين تحت مسمى "قانون الأهالي" إلى غاية ما بعد الحرب العالمية الثانية وعشية الثورة التحريرية.

2- **العنف:**

الغزو، العنصرية، الاستيطان الأوروبي، مصادرة ممتلكات السكان الأصليين ومحاصرة ثقافتهم ومعتقداتهم، الطغيان الاداري وغيرها من المعاملات والأعمال التي جعلت من مهمة تمدين الشعوب المتوحشة، تصطدم بفكر الرغبة في التحرر والتخلص من الغزاة.

فالعنف الذي رافق الظاهرة الاستعمارية منذ انطلاقتها، و الذي اعتمد كوسيلة أساسية لترهيب أبناء المستعمرات وإجبارهم على الخضوع، فقد رافق أيضا عملية التوسع داخل المستعمرات وخلال جميع مراحلها حيث كان أداتها لفرض إرادة الغزاة، فمن قتل الاسباني فرانثيسكو بيثارو(Pizarro) لأخر ملوك الإنكاس أتاوالبا(Atahualpa) سنة 1541، إلى وحشية الضباط البريطانيين الذين أعدموا الثوار السبايس سنة 1857، بوضعهم أمام فوهات المدافع، إلى العنف الفرنسي الممنهج بحرق بيجو وسانت أرنو لقرى ولجزائريين في مغارات لجأوا إليها بحثا عن الأمن بجبال الظهرة في العشرين سنة الأولى من الغزو إلى...مجازر الثامن ماي 1945 بسطيف، قالمة وخراطة، التي سقط فيها 45 ألف شهيد، إلى مائتين قتيل والألاف من الجرحى في نوفمبر 1946 بعد قصف مدينة هايفونغ الفيتنامية، والمئات من الجرحى وإلى جانبهم أكثر من أربعين ألف قتيل في مدغشقر عندما واجهت فرنسا خلال سنة 1947 انتفاضة الملغاش وغيرها[2].

تولد عن ذلك عنفا مضادا، فإذا كانت قوات الاحتلال قد بررت حملاتها القمعية بإضفاء عليها مصطلح "التهدئة"، ومحاربة الارهاب حسب تقارير شرطتها، وهو الشيء الذي ذكره أوساريس مثلا في الجزائر، فإن الثوار الوطنيين وفي جميع المستعمرات، وبخاصة الذين أثرت فيهم جملة من التغيرات

1- **Marc Ferro et al.**, op. cit., p.497

2- Ibid., pp. 11-31

المختلفة التي عرفها العالم خلال القرن العشرين، قد أوجدوا عنفا مضادا متعدد الأوجه، فالعمليات الفدائية التي قام بها عناصر جيش التحرير الوطني في مدينة الجزائر خلال حرب التحرير، والتي وصفتها الادارة والاعلام الاستعماريين بـ"الإرهاب" وهو الشيء الذي أدى إلى ممارسة **التعذيب**، فقد رد عنها فدائيو جبهة التحرير الوطني عن هذه الثنائية، بالقول: أنّه، **هناك عنف** ثم **رد عن العنف** الذي أدى إلى **التعذيب**[1].

الخاتمة:

كانت تداعيات الاستعمار الأوروبي على شعوب المستعمرات جد سلبية من حيث النتائج التي خلفتها هذه المرحلة الطويلة من تاريخ شعوب إفريقيا وأسيا، والتي أدت إلى تفكيك المجتمع المحلي وإلغاء وجوده السياسي من خلال:

- فرض القوى الغازية لواقع سياسي جديد تميز بالسيطرة الأوروبية وإلغاء مظاهر السيادة الفعلية في المستعمرات.
- اعتماد سياسات عنصرية وعنيفة هدفها ضمان السيطرة الدائمة وقهر شعوب الخاضعة.
- تشكيل كيانات سياسية قاهرة ورافضة للسكان الأصليين على غرار نظام الأبارتيد في جنوب إفريقيا
- إرتكاب مجازر عديدة ومتواصلة في حق المستعمَرين.

1 – **Marc Ferro et al.**, op. cit., p. 12

الخاتمة

الخاتمة:

الحركة الاستعمارية الأوروبية في القارتين الافريقية والأسيوية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين التي قادتها بريطانيا وفرنسا، لها جذور عميقة، إذ تعتبر امتداد للحركة القديمة التي بدأتها البرتغال من سواحل المغرب الأقصى وغرب إفريقيا، ليمتد ذلك الحماس التوسعي إلى اسبانيا التي أنشأت امبراطورية هامة في كامل قارتي أمريكا (من جنوب الولايات المتحدة الحالية إلى الشيلي والأرجنتين).

التوسعات البريطانية والفرنسية وغيرها من دول أوروبا، التي دخلت المجال الاستعماري استعملت أساليب مختلفة من منطقة إلى أخرى وحسب الظروف الداخلية لكل دولة وكذا العالمية. فالغزو العسكري أو التجاري رافقته مجازر فضيعة مثل ما حصل في قمع مقاومة السبايس في الهند، أو القضاء على المقاومات في الجزائر، ونفس الأحداث وقعت في غيرها من المستعمرات.

فالانجليز والهولنديين والذين تبعمه الفرنسيون فيما بعد توسعوا في جنوب وجنوب شرق أسيا للغرض التجاري في البداية، ونظرا للارباح الكبيرة المحققة أسسوا كل دولة منها شركة عملاقة للنشاط التجاري في الهند بالنسبة لبريطانيا، وجزر الهند الشرقية بالنسبة لهولندا، والهند الصينية بالنسبة لفرنسا، تلك الشركات كانت عوامل لتحقيق السيطرة على تجارة التوابل والمحاصيل المدارية التي تفتقرها أوروبا، من توابل، وشاي، أرز وبن، المطاط...

المراكز التجارية فرضت انشاء المزارع لزيادة الأرباح، اتبعتها المزارع الالزامية كجزء من السياسات الاستعمارية المجحفة في حق السكان الأصليين، حتى تحولت المستعمرات إلى مراكز استغلال طغى فيها الرجل الأبيض الأوروبي، وأظهر عنصريته اتجاه أبناء المستعمرات.

الليل الاستعماري الطويل امتد في الحقيقة منذ السيطرة البرتغالية على سبتة سنة 1414، إلى غاية استقلال جزر الرأس الأخضر سنة 1975.

قائمة البيبليوغرافيا:

I- باللغة العربية:

أ- **القرآن الكريم،** سورة هود، الآية 61، من.

ب- القواميس والمعاجم:

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول والمجلد الرابع (دار صادر، بيروت، د.س).

2- نبهان، يحي، معجم مصطلحات التاريخ، (دار يافا للنشر والتوزيع، الأردن، 2008)، حرف الألف

3- الجزائري الدمشقي، طاهر ، الكافي في اللغة، تقديم وتحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري (ط.1، دار ابن حزم، بيروت، 2007)

جـ- المراجع:

الكتب:

4- أبو جابر، فايز صالح، الاستعمار في جنوب شرق أسيا، (دار البشير للنشر، ط.1، عمان- الأردن، 1990).

5- المدني،أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، (دار البعث: قسنطينة، د.س)

6- الصباغ، عبد اللطيف تاريخ أسيا الحديث والمعاصر، (د. س.ن)

7- دار الشعب بشنغهاي، حرب الأفيون، (دار النشر باللغات الأجنبية، ط.1، بكين، 1979)

8- حمدان، جمال، استراتيجية الاستعمار والتحرر، (ط.1، دار الشروق، بيروت: 1983)

9- حمدي، جعفر عباس، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (ط 1، دار الفكر للطباعة، عمان، 2002)

10- حسين،عبد الله، المسألة الهندية، (كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013)

11- رياض، زاهر، استعمار إفريقيا، (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965)

12- شاكر،محمود، التاريخ الاسلامي-19- التاريخ المعاصر؛ القارة الهندية1964-1991، (منشورات المكتب الاسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1997)

المقالات:

13- **بوعزيز، يحي،** "الاستعمار الحديث في إفريقيا"، مجلة المؤرخ العربي 31، (الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1987)

14- **هويدي، مصطفى علي،** "نظرة إلى الاستعمار الأوروبي الحديث"، مجلة كليات التربية 12، جامعة الجبل الغربي، ليبيا، (2008)

15- **حسين عليان، عادل محمد، و كاظم، خالد سعود** "الاستعمار البريطاني –الفرنسي لشرق إفريقيا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين"، مجلة جامعة تكريت للعلوم العدد 4، المجلد 19، (العراق 2012)،

16- **رمزي، أحمد،** الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقية، (المطبعة النموذجية، القاهرة،1948)، ص 32.

II- باللغة الاسبانية:

A- Libros:

17- **Joaquín Martínez de Zúñiga,** Historia de las Islas Filipinas, (Impr. Pedro Arguelles de la Concepción, Sampaloc, Manila, 1803)

B- Revistas:

18- **Manzano Cosano, David** "Filipinas en la historia del constitucionalismo español y su representación en las cortes españolas", Revista Española de Derecho Constitucional núm. 106, (enero/abril 2016, Madrid)

19- **Elizalde Perez-Grueso, Maria Dolores,** "Filipinas, plataforma hacia Asia", Revista Torre de los Lujanes N°63, Real Sociedad Económica Matritense de los Amigos del País, (2008, Madrid)

III-باللغة الفرنسية:

A- Archives :

20- **-Service Historique de l'Armée de Terre,** Inventaire des archives de l'Indochine, Sous-série 10H (1867-1956), Tome I, Château De Vincennes, 1990

B- Ouvrages :

21- **Rohrbacher,René François,** Histoire universelle de l'Église catholique, Volumes 27 à 28, (Imp., J. G. Lardinois, Liège, 1849)

22- **De Penhoen, Barchou,** Mémoires d'un officier d'Etat-major : expédition d'Afrique, (Ed., Charpentier, Paris, 1855)

23- **De Saint Arnaud, Armand Leroy** Lettres du Maréchal De Saint Arnaud, T.2, (Ed., Michel Levy frères, Paris, 1858)

24- **Paul Leroy Beaulieu,** De la colonisation chez les peuples modernes, (Ed., Guillaumins et Cie, Paris, 1882)

25- **Le bon, Gustave,** Les civilisations de l'Inde, (Ed., Librairie de Fermin Didot et C^{ie}, Paris, 1887)

26- **Richard Temple,** L'Inde britannique ; type de colonisation moderne, Tra. J. Pène Siefert, (Nouvelle Librairie Parisienne, Paris, 1889)

27- **Bonnassieux, Pierre,** Les grandes Compagnies de commerce ; études pour servir à l'histoire de la colonisation, (Ed., Plon, Paris, 1892)

28- **Chailley Bert, Joseph,** Les Compagnies de colonisation sous l'ancien régime, (Ed., Armand Colin, Paris, 1898)

29- **Doumer, Paul,** Rapport sur l'Indochine 1897-1901, (Imp., Schneider, Hanoi, 1902)

30- **Césaire, Aimé,** Discours sur le colonialisme, (Ed., Présence Africaine, Paris, 1955), p.13

31- **Halimi, Gisèle, et De Beauvoir, Simone,** Djamila Boupacha, (Ed., Gallimard, Paris, 1962)

32- **Fairbank,John King,** La grande révolution chinoise : 1800-1989, Tra. Sylvie Dreyfus, (Ed., Flammarion, Paris, 1989), p.25

33- **Aarsse,Robert,** L'Indonésie, (Ed., Karthala, Paris, 1993)

34- **Bennassar, Bartolome,** La América española y la América portuguesa siglos XVI y XVIII, Traducción de Carmen Artal, (4eEd., Akal, Madrid, 2001)

35- **Jean Kogej,** Les mutations de l'économie mondiale du début de XXè siècle aux années 1970 en fiches, (Ed., Breal, Paris, 2008)

36- **Borne, Diminique, Benoir, Falaize et al.,** Religions et colonisation, afrique, asie, Oceanie, Amiriques XVIe-XXe siècle, (Ed., de l'Atelier, Paris, 2009)

37- **Jacques Arnault,** Procès de colonialisme, (Ed., L'Harmattan, paris, 2011)

38- **Marc Ferro et al.,** Le livre noir de colonialisme ; XVIe-XXIe siècle : de l'extermination à la repentance, t.1, (Ed., Dar el Kitab el Arabi, Alger, 2014)

39- **Lovell, Julia,** La guerre de l'opium 1839-1842, Tra. Stéphane Rooques, (Ed., Libella, Paris, 2017)

C- Revues:

40- **Chesneaux Jean,** « L'histoire de la Chine aux XIXe et XXe siècles », Annales. Economies, sociétés, civilisations N. 1, (10e année, 1955, France), pp. 95-98

41- 1-**Devillers Philippe,** « L'Indonésie depuis 1942 : État des travaux », Revue française de science politique n°4, (8e année, 1958)

42- 1- **Coolhaas W. Ph,** « Outre-Mer néerlandais », Revue d'histoire des colonies n°156-157, tome 44, (troisième et quatrième trimestres, 1957)

43- 1- **Magali Barbieri,** « De l'utilité des statistiques démographiques de l'indochine française (1862-1954) », Annales de démographie historique n° 113, 2007, (1er trimestre, France)

44- 1 -Marcel Trudel (1959). « L'Europe en quête de l'Asie (1492-1524) ». Cahiers de géographie du Québec 3, (1959)

45- **Bertrand Van Ruymbeke**, « L'héritage colombien : les conséquences de la "découverte" du nouveau monde », Publications du Musée des confluences N°3 (2009, Lyon, France)

46- 1- **Laurent Vidal**, « La présence française dans le Brésil colonial au XVI[e] siècle », Cahiers des Amériques latines N° 34 (Institut des hautes études de l'Amérique latine, univ. Sorbonne, 2000, Paris)

47- **Paul Estrade**, « Cuba à la veille de l'Indépendance: le mouvement économique (1890-1893). II Bilan et essai d'interprétation », Mélanges de la Casa de Velázquez, tome 14, (1978, Madrid)

48- 1 -**Joseph Bouchaud**, « Evangélisation et colonisation », Outre Mer-Revue d'histoire année 1967, (France)

49- 1 - **Janin Raymond**, « Goyau (G), Un grand Missionnaire, Le Cardinal Lavigerie, (compte rendu) », Revue des études byzantines N° 143, (année 1926, France)

50- **Delphine Diaz**, « Indésirables en métropole, utiles en Algérie ? Les réfugiés politiques étrangers et la colonisation (1830-1852) », Revue d'histoire du XIXe siècle N° 51, (2015, France)

51- Youssef Seddik, « Le temps du mépris ou la légitimation de l'œuvre civilisatrice de la France », Revue La pensée de midi, 2009, quatrième trimestre, (France)

52- 1-**Haudrère Philippe**, « Jalons pour une histoire des compagnies des Indes », Revue française d'histoire d'outre-mer N° 290, tome 78, (premier trimestre, 1991)

53- **Daniel Hémery**, « Inconstante Indochine… L'invention et les dérives d'une catégorie

54- Géographique», Revue française d'histoire d'outre mer n°326-327, tome 87, (1er semestre 2000, France), p. 138, 144.

55- **Simon Pierre-Jean**, « L'Indochine française : bref aperçu de son histoire et des représentations coloniales », Hommes et Migrations n°1234, (Novembre-décembre 2001, France)

56- Guillemette Crouzet, Indes : apogée et déclin d'un empire au sein de l'Empire britannique, https://ehne.fr/ , En ligne :

[URL source: https://ehne.fr/article/leurope-les-europeens-et-le-monde/linde-et-leurope/les-indes-apogee-et-declin-dun-empire-au-se in-de-lempire-britannique]

57- - **Guy Pervillé**, « Qu'est ce que la colonisation », Revue d'histoire moderne et contemporaine, Tome XXII,(juillet-septembre 1975)

58- **Jürgen Osterhammel**, « « Colonialisme » et « Empires coloniaux » », Labyrinthe

59- [En ligne], 35 | 2010 (2), mis en ligne le 27 juillet 2012, consulté le 30 avril 2019. URL : http://journals.openedition.org/ labyrinthe/4083. P.57

60- **Joël Serrao**, « Le blé des iles atlantiques ; Madère et Açores aux XV^{e} et XVI^{e} siècles », Annales. Économies, Sociétés, Civilisations N^{o} 3, (juillet-septembre 154, France)

61- **Véronique Dimier**, « L'internationalisation du débat colonial : rivalités autour de la Commission permanente des Mandats », Outre Mer Revue d'histoire N°336 – 337 (année2002, France), p.334

D- journaux

62- Journal **Le Constitutionnel**, « La Cochinchine pacifiée », 30 juillet 1862.

E- Sites Internet :

63- https://www.elysee.fr/jules-grevy

64- https://solidariteetprogres.fr/grande-famine-bengale-genocide-britannique.html, consulté le 20 juin 2020.

65- https://www.projet-voltaire.fr/origines/mot-amerique-de-amerigo-vespucci/

66- - https://www.universalis.fr/encyclopedie/protectorat/ consulté le 26/04/2019

67- https://www.youtube.com/watch?v=e3r2R-Gj0Yw

68- https://www.un.org/ar/events/slaveryremembranceday/background.shtml, consulté le 27 avril 2019

69- https://data.bnf.fr/fr/13516315/east_india_company/

70- https://data.bnf.fr/fr/temp-work/a6b9bd23132160082443c9a459061212/

71- https://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/m%C3%A9tropole/69874

72- https://www.lemondepolitique.fr/cours/introduction-economie/pensee-economique/mercantilisme.html consulté le 18/03/2018

73- https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Aim%C3%A9_C%C3%A9saire/112418 consulté le 14/03/ 2018 à 16h 27m.

74- https://www.suwar-magazine.org/articles/1761_2-الوطنية-والوحدة-الثقافي-التنوع consulté le 18 juillet 2019.

75- http://www.exteriores.gob.es/Documents/FichasPais/FILIPINAS_FICHA%20PAIS.pdf consulté le 31 juillet 2020.

76- http://www.axl.cefan.ulaval.ca/amsudant/tordesillas.htm, consulté le 19/10/2018

77- http://www.axl.cefan.ulaval.ca/afrique/Cap-Vert.htm consulté le 14 novembre 2018.

78- 1- http://www.quran-for-all.com/t-11-1-61.html consulté le 28/11/2018.

79- 1- https://www.youtube.com/watch?v=-yYPhpEmSao consulté le 25/10/2017

80- http://expositions.bnf.fr/marine/arret/11-6.htm

consulté le 28/1 http://www.quran-for-all.com/t-11-1-61.html 81-